مركز تدريب الخدام - الكورسات المتخصصة

مدخل إلى ...

الطقس الكنسى

إعداد

لجنة الحياة الكنسية

بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسقفية الشباب
مراكز تدريب الخدام

الكورسات المتخصصة

الطقس الكنسى

إعداد
مجموعة الحياة الكنسية
بالأسقفيــة

الكتـــاب: مدخل إلى الطقس الكنسى.
إعـــداد: الكورســـات المتخصصـــة.
الناشـــر: مكتبـة أسـقفية الشـباب.
الطبعـــة: الأولى - يوليـــــه ٢٠٠٢.
المطبعـــة: دار الجيـــل للطباعـــة.
رقـم الإيـداع:

تقديم

نشكر الله من أجل خدمة "الكورسات الصيفية للشباب والخدام"، حيث تنامى عدد المشاركين فيها من ٣٢٤ عام ١٩٩٨ إلى ٢٤٤٣ عام ٢٠٠١.

كما ازدادت أيضاً الكورسات، فأصبحت ١٥ كورس وهى :

١- كتاب مقدس.
٢- عهد قديم.
٣- آبائيات.
٤- طقوس.
٥- تاريخ الكنيسة.
٦- لغة قبطية وألحان.
٧- التربية وعلم النفس.
٨- تربية أسرية.
٩- قيادة وإدارة.
١٠- مكافحة إدمان وإيدز.
١١- تنمية المجتمع.
١٢- مشاركة وطنية.
١٣- تنمية ثقافية.
١٤- تنمية إقتصادية.
١٥- خدمة المكتبات.

ولديك فرصة أن تشترك فى واحد أو أكثر منها حسب ظروفك.

وقد صدر من هذه الكورسات كمادة مطبوعة الكتب التالية :

١- كيف ندرس نصوص الكتاب المقدس؟
٢- مدخل إلى تاريخ الكنيسة.
٣- مدخل إلى الآبائيات.
٤- مدخل إلى التربية الأسرية.
٥- مكافحة الإدمان والإيدز.
٦- مدخل إلى خدمة المكتبات.

وبين يدى القارئ العزيز هذه المجموعة الجديدة وهى :

٧- مدخل إلى الطقس الكنسى.
٨- مدخل إلى التربية وعلم النفس.
٩- مدخل إلى القيادة والإدارة.
١٠- مدخل إلى التنمية الثقافية.

الرب يبارك كل الجهود بصلوات راعينا الحبيب *قداسة البابا شنوده الثالث*، وأحبار الكنيسة الأجلاء، ونعمة الرب تشملنا جميعاً،

الأنبا رافائيل
الأسقف العام

الأنبا موسى
أسقف الشباب

مقدمة

يمثل الطقس الكنسى ركناً رئيسياً فى حياة الكنيسة فى عبادتها، لأنه يرسم النظم المحـددة والترتيبـات اللائقة لتحقيق الأبعاد الروحية والتقوية فى العبادة حسب المفهوم الأرثوذكسى..

والنظام والترتيب أمر هام جداً فى كنيستنا بل هو وصية إلهية سجلها الكتاب المقدس ليؤكد هذا الطـابع المميز فى حياة الكنيسة - راجع (سـفر الخـروج ٢١ ومـا بعـده - وسـفر اللاويـين - ولوقـا ٩ - وكورنـثـوس الأولى ١١...).

ومع إدراك هذا النظام وهذا الترتيب وفهم مدلولاته الروحية والعقائدية والتقوية، تنعكس هذه الممارسات على حياة الإنسان فيعيش الكنيسة ويدخل فى أعماقها بل تصبح الكنيسة بكل أعماقها الخلاصية فى أعمـاق هذا الإنسان.

لقد عاش القديسون هذا الوعى بالطقس الكنسى وتستلم الأجيال هذه التعاليم وتلك الطقوس عبر الأجيال، فمنذ أن سلم القديس مارمرقس الرسول. القداس الإلهى لخليفته القديس انيـانيوس أول أسـقف لكنيسـة الإسكندرية، صار تسليم الطقس بالغ الأهمية لأنه تسليم للإيمان وللحياة مع المسيح..

ومن الأمور الهامة فى حياتنا الكنسية، أن الأباء الجدد الذين ينالون نعمة الكهنوت، يعتكفون قبل خدمتهم لمدة أربعين يوماً فى الأديرة لكى يستلموا القداس الإلهى وحياة الكنيسة فى طقوسها، ويكون يوم إسـتلام الذبيحة يوماً بهيجا فى حياة هذا الأب.

لذلك نحرص أن نقدم فى هذا الكتاب المعانى الأساسية للطقس الكنسى وأهميته، مع الدورات الزمنية التى تعيشها الكنيسة على مدار السنة. ثم رحلة مع القداس الإلهى والتسبحة والألحان والأعياد السيدية وأخيـراً الأيقونات فى كنيستنا. أرجو أن تكون هذه الدراسات هى مدخل روحية وكنسية لفهم الكنيسة فـى طقوسـها الجميلة التى تنقلنا إلى آفاق السماء. فنعيش ونذوق الملكوت. بصلوات قداسة البابا شنوده الثالث وشريكيه فى الخدمة الرسولية نيافة الأنبا موسى أسقف الشباب ونيافة الأنبا رافائيل الأسقف العام.

ولإلهنا السبح دائماً،

مجموعة الحياة الكنسية

بالأسقفية



المحتويات

١

الطقس الكنسى وأهميته

نيافة الأنبا رافائيل

ما معنى كلمة "طقس" ؟

كلمة طقس مأخوذة من الكلمة اليونانية "طاكسيس" والتى تعنى ترتيب أو نظام ويقصد به النظام أو الترتيب الكنسى ويشمل :

١- الصلوات الكنسية (الليتورجيا) : والليتورجيا كلمة تعنى الصلوات الجماعية أو صلوات الشعب.

- الليتو : مأخوذة عن كلمة لاؤس أو الشعب.
- رجيا : صلوات.

وهى الصلوات التى ترتبها الكنيسة ليصليها جميع الناس معاً مثل ترتيب صلوات الأجبية والقداس واللقان و.....

والتى وُضعت من أجل أن يصلى الجميع معاً بنفس الكلمات وبنفس الروح.

٢- **الأعياد** : حيث أن الأعياد الكنسية لها مواعيد محددة وصلوات محددة ومعروفة تصلى فى كل عيد (كل عيد له ذكصولوجية، إبصالية خاصة به).

٣- **أسرار الكنيسة** : تعتبر أسرار الكنيسة من أسس الأرثوذكسية وتشمل على جانبين :

أ- **جانب عقيدى** : بما تحمله هذه الأسرار من إعلان عن إيماننا الأرثوذكسى وما يتعلق بالسند الكتابى لهذه الأسرار المقدسة.

ب- **جانب طقسى** : فى كيفية ممارسة هذه الأسرار وتطبيقها وترتيب الصلوات والقراءات التى تقال أثناء ممارسة السر.

مثال : المعمودية :

- **الجانب العقيدى** : المعمودية هى سكن للروح القدس فى الإنسان وفيها نغطس فى الماء ثلاث مرات على مثال دفن المسيح فى القبر ثلاثة أيام.

- **السند الكتابى** : "من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن" (مر ١٦:١٦). "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣:٥).

- **الجانب الطقسى** : يتمثل فى القراءات التى تقرأ والصلوات التى تقال والزيوت المستخدمة وجحد الشيطان وغيرها من الممارسات الطقسية.

٤- **الدورات الزمنية فى الكنيسة** :

أ- دورة يومية (من عشية إلى عشية) وتدخل فيها صلوات الأجبية.

ب- دورة أسبوعية وتدخل فيها الابصلمودية (ثيؤطوكية، إبصالية لكل يوم).

ج- دورة سنوية من خلال القطمارس.

٥- **القراءات الكنسية** : هى أيضاً مرتبة فى القطمارس، ومعروفة لكل يوم قراءاته.

٦- **ألحان الكنيسة** : مرتبة لكل مناسبة ألحان خاصة بها ولا يجب أن تقال الألحان فى غير مواضعها.

٧- **الأيقونات** : حيث أن للأيقونات نظم متبعة فى رسمها لتخرج بصورة منظمة لائقة والأيقونة القبطية لها معايير كثيرة لقراءتها.

أسباب وضع الطقوس الكنسية وأهميتها :

١- **الطقس يوحد الكنيسة** : لتكون كلها واحد فى المسيح حيث أن الكنيسة هى جسد المسيح والمسيح له جسد واحد غير منقسم.

- المسيح أراد ألا تقطع ساقيه على الصليب أو لا تكسر عظمة من عظامه حتى يظل جسده كاملاً ولم يمت بحد السيف حتى يظل رأسه متصل بجسده الذى هو الكنيسة.

- وقد أكد المسيح على وحدانية الكنيسة فى وحدانية الرسل ووحدانيتهم فيه "أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى ليكونوا واحدا كما نحن" (يو ١١:١٧). "ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد" (يو ٢١:١٧،٢٢).

- فى مثل الراعى الصالح أكد المسيح أيضاً على ضرورة وحدانية الكنيسة "ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراع واحد" (يو ١٦:١٠).

- لذا جاء الطقس حتى يجعل الكنيسة واحداً فجميع أفرادها يتحدثون بالليتورجيا التى هى لسان الكنيسة، ينظرون جهة الشرق منتظرين المجىء الثانى للرب، ناظرين للنور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان..

٢- **الطقس يضمن جماعية الأداء** : حيث أن الشعب جزء أساسى من أداء القداس وإتمامه فجميعنا نصلى بروح واحدة وكلام واحد فى وقت واحد كما أمرنا الله أن نصلى جميعاً معاً، وأكبر مثال: إذا صليتم فقولوا يا أبانا الذى فى السموات...

وهنا تظهر جماعية الأداء فى شيئين :

أ- فقولوا : أى جميعكم معاً.

ب- يا أبانا : لنصرخ نحوه معا قائلين يا أبانا ولم يقل يا أبى الذى فى السموات مثلاً.

٣- **الطقس يشرح العقيدة ويضمن الحفاظ عليها سليمة** : الطقس هو التطبيق العملى للعقيدة وهو المدرسة الأولى التى تشرح العقيدة من خلال تطبيقها ولعل أكبر دليل هو القداس فجميعنا قد تعلم من القداس الكثير عن لاهوت المسيح وهو لا يزال صغيراً من خلال صلواته.

والكثير من القديسين والبسطاء أيضاً كان القداس لكل ما يحويه من معانى، وطقوس المدرسة الأولى لهم.

ومن القداس براهين تطبيقية استخدمت فى الرد على المبتدعين أمثال آريوس وأوطاخى.

فمثلاً ممارسة سر الإفخارستيا تثبت أن بدعة أوطاخى هى خاطئة فالجسد الذى نأكله على المذبح جسد حقيقى غير ذائب أو متحال كما ادعى أوطاخى أن ناسوت المسيح ذاب فى لاهوته.

وأمثلة أخرى كثيرة من الطقس ما هى إلا تطبيق للعقيدة مثل :

أ- *الشورية* : هى رمز لبطن العذراء فيها المسيح (*الفحم يرمز لناسوته والنار للاهوته*) ومن أعلى القبة الثانية ومتصلة بثلاث سلاسل مثال الثالوث...

ب- *البخور* : ما هو إلا رمز للتجسد وعند وضع رائحة البخور على جسد المسيح ودمه على المذبح نقول أن هذا الجسد والدم عملوا رائحة خلاص لكل المسكونة.

ج- *حمل الأب الكاهن للبشارة* : عند دورة الإنجيل مثال لما فعله سمعان الشيخ بحمله للمسيح والمقصود أن المسيح سيتجلى أيضاً من خلال الإنجيل.

٤- **الطقس يشرح حقائق مجردة** : حيث أنه يوضح أشياء لا يمكن أن يستوعبها إلا العقل المجرد.

مثال : رشم الصليب أصغر عقيدة فى المسيحية ولكنها تُعبر عن المسيحية كلها...

ففيها تشرح :

أ- عقيدة *التجسد* : حيث الآب نزل من السماء "*إشارة الرأس*" إلى الأرض من بطن العذراء "*بالإشارة للبطن*".

ب- عقيدة *الكفارة والفداء* : إنتقالنا من الشمال لليمين "*بالإشارة من الكتف الأيسر للأيمن*" أى إنتقالنا من الظلمة للنور بالخلاص الذى تم بالصليب.

ج- عقيدة التثليث والتوحيد بإسم الآب والإبن والروح لقدس "*ثلاثة أقانيم*" الإله الواحد. آمين "*إله واحد*".

وفى أخرى يستخدمها الكهنة لمباركة الشعب. يضع الكاهن السبابة والوسطى متعامدين مثال الصليب.

الإبهام يوضع على العقلة العاشرة كشكل دائرة "*الله الذى لا بداية ولا نهاية له*" والإشارة للعقلة العاشرة رمز حرف اليوتا الذى يرمز للمسيح حيث أنه أول حرف من كلمة إيسوس.

٥- الطقس يعلن قداسة المادة : حيث أنه باستخدام المادة فى الأسرار نقدسها ونرفض كل الآراء التى ترفض المادة. فأكبر دليل على قداسة إتحاد المسيح بها.

فالمادة مقدسة فى الأرثوذكسية فالكنيسة تصلى من أجل الطبيعة (المياه والعشب والزرع و...). ومن هذا المنطلق فمن واجبنا الحفاظ على البيئة.

٦- الطقس يقدم لنا الليتورجيا المشبعة :

أ- الكلمات المليئة بالمعنى اللاهوتى (كل كلمة ورائها فكر وتشرح عقيدة).

مثال : حينما نقول فى القداس (يا الله العظيم الأبدى..) ففى هذه الصلوة نذكر الله الذى ليس له نهاية والإعتراف أنه الجابل وفيه نعلن خلود الروح وأن الموت دخيل إلى العالم دخل إليه بحسد إبليس وفيها كلمة ظهور التى تعلن وجود الله من الأزل وفيها إعلان للثالوث.

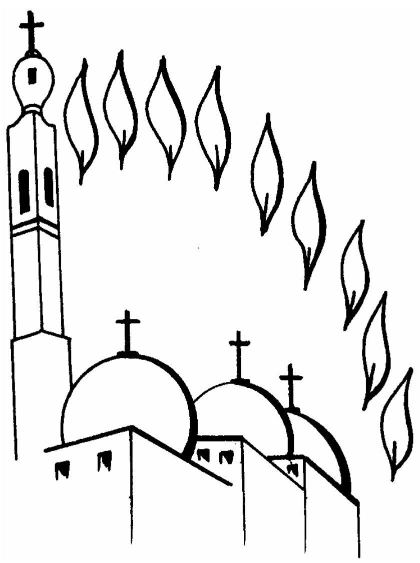
ب- الموسيقى : فالكنيسة الأرثوذكسية تفخر بألحانها القبطية فإذا نظرنا إلى الألحان الكنيسة نجدها تعبر عن الصلوات التى تقال وكلمات هذا اللحن بالطلعات والنزلات والتموجات التى تشمل عليها الألحان.

مثال : من ألحان القداس.. ونظر إلى فوق : فى لحنها إرتفاع.

ونزل إلى الجحيم : فى لحنها نزول.

فى لحن بيك إثرنوس : فى أوله لحن للتوسل إلى الله الذى يدين المسكونة وفى آخره فرحة بالخلاص فى كلمة الليلويا.

الرب يعطينا كل بركة ونعمة وقوة لنستطيع نشر طقوسنا وإرساءها فى عقولنا وقلوبنا لأن الطقس هو الذى حافظ على عقيدتنا القويمة ونشر الطقس بفهم والتأمل فى رموزه الجميلة وتشبيهاته الرائعة حتى ننهى الإرتداد والإباحية ونتمسك بأرثوذكسيتنا القويمة ونواجه هرطقات وتحديات العصر...



٢

الدورات الزمنية الطقسية في حياتنا الكنسية

القمص بولا عطية

مقدمة :

الكنيسة هى جماعة المؤمنين المجتمعين فى بيت الله المدشن... الخ. والكنيسة أيضاً هى بـاب السـماء، وهـى عروس المسيح التى افتداها بدمه (أع ٢٠:٢٨).

فالكنيسة تحيا عابدة للرب أى أنها تخضع، وتطيع، وتخدم الرب، وكل ما يتعلق بالخدمة والطاعة والخضوع مـن سلوكيات، وطقوس، ونظم فى العبادة هى مرتبطة بالإيمان والعقيدة وتحيها الكنيسة. أى أن العبادة بالمفهوم السـليم لا تنفصل لا عن الإيمان ولا العقيدة. بل تكون (العبادة) هى تعبير حى عن كليهما.

إرتباط العبادة بالطقوس الكنسية :

هناك إرتباط وثيق بين العبادة فى الكنيسة حسب المفهوم الأرثوذكسى والـنظم المحـددة أو الطقـوس الخاصـة بالعبادة. فعندما طالبنا الإنجيل بأن "نصلى كل حين، نصلى بلا إنقطـاع" (مـت ١٧:٥) أخذت الكنيسة هذه الوصية لتكون (منهج حياة الكنيسة) وذلك لأن السيد المسيح الذى هو فوق الزمان صار فى الزمن، كى نصير نحن معه فـى حيـاة أبدية خارج الزمان. وهذا ما تعبر عنه ثيؤتوكية الأربعاء قائلة: "الغير زمنى صار تحت الزمان".

ونحن بدخولنا إلى الزمان مع المسيح، يكون حضور المسيح المتجسد حضوراً مستمراً فى حياة الكنيسـة. هـذا الدخول فى الزمن رتبته الكنيسة فى ثلاث مستويات أو دورات زمنية علـى مسـتوى اليـوم (الاجبيـة)، الأسـبوع (الابصلمودية)، السنة (القطمارس).

الدورة الزمنية اليومية فى الأجبية :

اليوم الليتورجى فى الكنيسة يبدأ من الغروب، وربما يكون ذلك كرمز لتاريخ الكون حيث بدأ فى الظلام "... علـى وجه الغمر ظلمـة" (تـك ٢:١) ولذلك نلاحظ أن أول مزامير صلاة الغروب يبدأ بتسبيح الخليقة "يـا جميـع الأمـم بـاركوا الرب، ولتباركه كافة الشعوب" (مز ١:١١٦). ولذلك سوف نأخذ جولة سريعة فى الدورة الزمنية اليومية فى الأجبية.

ملحوظة : الأجبية فى صلاتها تجعل الكنيسة كلها فى وحدة عقائدية وروحية وتأملية.

١- صلاة الغروب :

رتبت الكنيسة هذه الصلاة تذكاراً لإنزال السيد المسيح من على الصليب عند غروب الشمس لتكفينه ودفنه. فنحن عندما نصلى هذه الصلاة تعلمنا..

✝ أن شمس حياتنا لابد أن تغرب يوماً ما لكى نكون مع المسيح فى الأبدية، فلابد أن نكون مستعدين لذلك.

✝ تبدأ بمزمور (مـز ١١٦) حيث ترتل الكنيسة هذا المزمور الذى يحث جميع الخليقة فى تسـبيح الله الـذى مـات لأجلنا.

ثم ترتل الكنيسة مزامير المصاعد لكى نصعد من ظلمة الخطيئة إلى نور المسيح. ومن الإنتمـاء الأرضـى إلـى مواطنة السماء. لذلك نلاحظ بداية كل مزمور يقول :

✝ "رفعت عينى إلى الجبال" (مز ١٢٠).

✝ "فرحت بالقائلين إلىَ إلى بيت الرب نذهب" (مز ١٢١).

✝ "إليك رفعت عينى يا ساكن السماء" (مز ١٢٢).

✝ "المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون.." (مز ١٢٤).

ثم نقف مع حماة سمعان المريضة أمام المسيح فى حمتها الصعبة، ومع المرضى الكثيرين الذين شـفاهم الـرب يسوع، لكى ما نعيش هذا الحدث وننتهز هذه الفرصة ونطلب منه لكى يشفينا مـن أمراضـنا الجسـدية والنفسـية والروحية. ونطلب لكى يبعد عنا شياطين الشهوات والرذائل التى تحاربنا، وتحاول اسقاطنا فى الخطايا والأمـراض. بعد يوم ملئ بالنصرة والحروب والتعب والفرح فنصلى قائلين: "اسرع لى يا مخلص بفتح الأحضان الأبوية". ونصلى فـى تحليل الغروب مقدمين شكر للرب على قضاء اليوم.

✝ أن صلاة الغروب تعطينا فرصة لكى ما نقدم طيباً مع نيقوديموس ويوسف الرامى من خلال الصلاة التى تقـدم كرائحة بخور "لتستقم صلاتى كالبخور قدامك. ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية" (مز ٢:١٤١).

٢- صلاة النوم :

رتبتها الكنيسة تذكار لدفن السيد المسيح فى القبر بعد تكفينه ووضع الحنوط والأطياب على الجسد. تجعلنا نعيش حدث نزول السيد المسيح بروحه الإنسانية المتحدة بلاهوته إلى الجحيم ليحرر النفوس التى قبض عليها إبليس لذلك نلتمس من خلالها نزول المسيح إلى أعماقنا لكى ما يحررنا من رباطات الخطيئة. فنرتل فى المزامير قائلين :

✝ "من الأعماق صرخت إليك يارب... من محرس الصبح إلى الليل. من محرس الصبح..".

✝ "الذين استاقونا إلى هناك (فى السبى)".

ثم ترتل الكنيسة فى هذه الصلاة مزامير المصاعد. حيث نصعد مع المسيح معلنين إنتظارنا للخلاص، قـائلين فـى المزمور: "لا أدخل إلى مسكن بيتى ولا أصعد على سرير فراشي، ولا اعطى نوماً لعينى، ولا لأجفانى نعاساً" حتـى يسـتعلن خلاص الرب فى حياتنا.

يعلمنا الآباء أن الليل مخصص لعمل الصلاة لذلك تنبهنا الأجبية قائلة "فى الليالى ارفعوا أيديكم إلـى فـوق أيهـا القديسون، وباركوا الرب".

نتعلم من مزامير النوم ارتباطنا بالكنيسة الأم "على أنهار بابل هناك جلسنا.." (مز ١٣٦).

فى صلاة النوم نستودع أنفسنا بين يدى المسيح متذكرين الموت الكبير فى مقابل الموت الصغير (النوم) قائلين مع سمعان الشيخ: "الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام..." وطالبين أن يحفظنا بغير خطية أثناء الليل. ولا أحد يطلب هذا إلا المستعد بالتوبة.

٣- تسبحة مزامير نصف الليل :

يضاف إليها تسبحة نصف الليل التى تصلى من كتاب الابصلمودية المقدسة. والكنيسة رتبت هذه الصـلاة حسـب قـول المـرنم: "فـى نصـف الليـل أقـوم لأشـكرك علـى أحكـام عـدلك" (مـز ١١٩:٦٢) كـذلك الغـرض منهـا هـو حياة السهر والتأمل الذى يقود الإنسان إلى حياة توبة واستعداد وانتظار لمجىء السيد المسيح الثانى. حيث فى نصف الليل صار صراخ "هوذا العريس قد أقبل".

✝ وتنبهنا الكنيسة فى التسبحة قائلة: "قوموا يا بنى النور لنسبح رب القوات..".

✝ ثم تقدم لنا المزمور الكبير، وهو عبارة عن نموذج رائع للتمتع بكلمة الله، حيث نجـد الآيـات بكثـرة حـول موضوع واحد فيعطى فرصة للتأمل والصلاة بصورة أعمق وهذا يناسب هدوء الليل.

✝ كذلك فرصة إنتظار العريس يجعل النفس تستعد بالتوبة مثال المرأة الخاطئة التى سكبت الطيـب علـى قبـر المخلص ونحن نقول: "أعطينى يارب ينابيع دموع كثيرة".

✝ نتيجة للتوبة يأتينا صوت الله المطمئن "لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباك قد سر أن يعطيكم الملكوت". ولكنـه لا يعطى الملكوت إلا لعبيده الأمناء. أما المتهاونون والمهتمون بملذات العالم فليس لهـم نصـيب وميـراث الملكـوت السماوى.

٤- تسبحة باكر :

✝ فيها نتذكر القيامة "قم يارب خلصنى يا إلهى...".

✝ "الآن أقوم يقول الرب".

✝ "تتذكر النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آتيناً إلى العالم".

ثم ترسم لنا الكنيسة منهجاً نسير به طوال النهار وهذا ما نلاحظه فى مقدمة صلاة باكر المـأخوذة مـن رسـالة القديس بولس الرسول لأهل أفسس حيث تقول: "أسألكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم اليها بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناه... مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل لكى تكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً كما دعيتم إلى رجاء دعوتكم الواحد رب واحداً إيمان واحد معمودية واحدة" (أف ٤:١-٥). ثـم يضاف إلى مزامير باكر صلاة تسبحة باكر بالأبصلمودية. حيث نخاطب العذراء والرسل والشهداء والقديسين طالبين معونتهم لنا أثناء النهار.

٥- صلاة الساعة الثالثة :

هى ساعة حلول الروح القدس على التلاميذ فى يوم العنصرة. لذلك نتوسل إلى الله الروح القدس الـرب المحيـى لكى يحل فينا "*القطعة الأولى من الجزء الثانى* (الرابعة)".

نصلى مزمور "*الرب راعى...*" الذى ينقل لنا فعل الروح القدس من خلال الكنيسة إمتداد تجسده. فمـن مطالعتنـا للمزمور نرى الآتى :

✝ الرب يرعانى فلا يعوزنى شىء...

✝ إلى مياه الراحة يوردنى (المعمودية). ✝ يرد نفسى (التوبة).

✝ هيأت قدامى مائدة (الإفخارستيا).

✝ مسحت بالزيت رأسى (الميرون).

✝ مسكنى فى بيت الرب (الكنيسة المدشنة).

وفى هذه الساعة أيضاً نتذكر المحاكمة التى كانت أمام بيلاطس البنطى. "كثيرة هى *أحزان* الصديقين ومن جميعها ينجيهم *الرب*...".

✝ ثم صلاة الإنجيل الخاص بوعد إرسال الروح القدس (يو ١٤:٢٦-١٥:٣).

✝ ثم القطع التى نطلب فيها تجديد الروح القدس داخلنا.

٦- صلاة الساعة السادسة :

وهى الساعة التى تم فيها صلب رب المجد يسوع. وفيها نتذكر خلاصنا بالصلب. وفعل الدم فى حياتنـا "دم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطيئة". "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الله الآب يسوع المسيح..." (ايو ٢:١،٢).

✝ نصلى من أجل خلاصنا (مز ٥٣،٥٦،٦٠).

✝ نطلب وقت الظهيرة حيث يرهقنا الشيطان بحروبه السخيفة والأنشغالات الديناوية. لذلك نلتمس منـه العـون "يا الله إلهى إليك أبكر، إذا عطشت نفسى إليك يشتاق إليك جسدى..." (مز ٦٢).

✝ ثم نصلى الإنجيل. التطويبات (مت ٥:١-١٦) حيث تنبهنا الكنيسة إلى المنهج الروحى فى السلوك اليومى.

✝ ثم نصلى القطع الخاصة بالساعة السادسة وهى مناسبة لحدث الصلب.

٧- صلاة الساعة التاسعة :

فى هذه الساعة أسلم الرب يسوع الروح الإنسانية بيد الآب من أجل خلاصنا، وفداء لكل البشر لذلك نحن نسبحه على هذا الخلاص الثمين.

✝ كذلك ندعو كل سكان الأرض كى تشاركنا التسبيح بروح جديدة تليق بعهد الخلاص. لذلك نردد المزامير الآتية:

"سبحوا الرب تسبيحاً جديداً، الرب قد ملك على خشبة" (مز ٩٥،٩٦،٩٧،٩٨،٩٩).

✝ ثم إنجيل الساعة الذى يحدثنا عن رجوعنا إلى الرب يسوع لتحدثه عن كل شىء عملناه (ثم معجزة إشباع الجموع).

هذه الدورة اليومية تكتمل بالإفخارستيا حيث نرفع ذبيحة التسبيح وذبيحة الإفخارستيا التى تعطينا الغفران، والحياة، والثبات فى التسبيح.

ثانياً: الدورة الزمنية الأسبوعية :

نظرة سريعة على أيام الأسبوع نرى أن الكنيسة أعطت اعتباراً خاصاً لأربعة أيام فى كل أسبوع اثنان لهما طابع إحتفالى هما السبت والأحد. اثنان يحفظان كأيام صوم وهما الأربعاء والجمعة.

١- **يوم الأحد** : وهى التذكار الأسبوعى للقيامة المقدسة وقد اعتبر هو يوم الرب بدلاً من السبت منذ العصر الرسولى الأول (أع ٧:٢٠، ١كو٢:١٦)، ولذلك لا يجوز فيه الصوم الانقطاعى والمطانيات على مدار السنة إبتهاجاً بقيامة الرب وحلول العريس السماوى معنا.

والاحتفال الأسبوعى للقيامة المقدسة يأخذ ثلاث مستويات على مدار السنة :

أ- *فى الفترة من القيامة وحتى يوم الخمسين* : نحتفل بالقيامة فى هذه الفترة كيوم واحد. لذلك نجد الطقس واحد، من ألحان، ودورة القيامة.. الخ.

ب- *الفترة من أول صوم الرسل حتى أول شهر كيهك* : ويحتفل بالقيامة يوم الآحاد فقط على مدار هذه الفترة. بحسب الطقس المناسب، أى السنوى، أو الفرايحى إذا وقع يوم الأحد ٢٩ من الشهر القبطى تذكار البشارة والميلاد والقيامة. وبالتالى نلاحظ أن غالبية قراءات إنجيل باكر فى هذه الفترة يتحدث عن القيامة. كما يقال فى التسابيح "لأنك قمت وخلصتنا".

ج- *الفترة من أول كيهك حتى أول أسبوع الآلام* : تقل درجة الاحتفال والتركيز على القيامة، فلا تقال "لأنك قمت" ويكون الاحتفال مركز وموجه حول سر التجسد الإلهى، وحياة المسيح الخلاصية قبل الآلام والقيامة.

٢- **يوم الاثنين** : تذكر الكنيسة من خلال تسابيحها وقراءاتها وطروحاتها على الخليقة بصفة عامة وعلى خلق آدم وحواء.

٣- يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس : نرى من خلال التسبيح فى الكنيسة التركيز علـى النبـوءات الخاصـة بالتجسد مثل باب حزقيال وسلم يعقوب، والعليقة التى رآها موسى فى البرية... الخ.

٤- يوم الجمعة : هذا اليوم مع يوم الأربعاء تضعه الكنيسة فى وضع إحتفالى من خلال الصوم وذلـك تـذكاراً بالمشورة التى بين يهوذا ورؤساء الكهنة لتسليم المسيح له المجد، كذلك يوم الصلب نفسه أى فى يوم الجمعة.

٥- يوم السبت : وهذا اليوم تحتفل فيه الكنيسة برقاد "ربنا يسوع المسيح فى القبر حسب الجسد من أجل أن يكون بكر الراقدين" (١كو ٢٠:١٥)، (ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار). لذلك نحتفل بأباؤنا وأخوتنا الذين رقدوا فى رفع بخور باكر وعشية حيث نصلى (أوشية الراقدين). وكذلك يقام القداس من أجل نفوس (الذين رقدوا وتنيحوا فى الإيمان بالمسيح) أى أن الكنيسة تحتفل به كسبت لفرح الراقدين بالخلاص حيث نزل السيد المسيح بالروح الإنسـانية المتحدة بلاهوته (ورد أبانا آدم وبنيه إلى الفردوس). وبذلك نلاحظ أن الإحتفال بيوم الأحد للعبادة والفرح لم يلـغ يـوم السبت أيضاً للعبادة والفرح، لذلك لا يصام فيه إنقطاعياً، ولا تعمل فيه مطانيات عدا يوم سبت النور، ويكون طقـس الصلاة فيه هو طقس يوم الأحد من حيث صلاة المزامير والالحان... الخ.

ثالثاً: الدورة الزمنية الطقسية السنوية :

منذ القرن الأول رتبت الكنيسة الاحتفال بالأعياد (الميلاد - القيامة - الصعود - العنصرة). ثم جاء ترتيب أعياد أحد توما، والختان، والغطاس، وعرس قانا الجليل، وأطفال بيت لحم. ثم جاء مرحلة ترتيب الأصوام. الصوم الأربعينـى، وصوم الميلاد. وكذلك ترتيب باقى أيام السنة حيث تحتفل الكنيسة بأعياد العـذراء والملائكـة والرسـل والشـهداء والقديسين كل ما فى تاريخه فاستقرت الكنيسة القبطية على تنظيم السنة الليتورجية فى القرن الرابع الميلادى حيث تحتفل بشخص المسيح فى حياتها من خلال الطقس والألحان والقراءات الكنسية، فتبرز لنا تاريخ الخلاص، وعمـل الله فى حياة الكنيسة فى كل يوم وكل مناسبة. ومن خلال القراءات الكنسية يبرز لنا منهج حياتنا فى المسـيح مـن خلال الاحتفال على مدار السنة بالخلاص والفداء. ولذلك نقسمها إلى جزئين :

- المستوى الأول : من خلال القطمارس[1] السنوى للأيام والآحاد على مدار السنة.
- المستوى الثانى : من خلال المناسبات والأعياد السيدية على مدار السنة.

وسوف نكتفى بالتركيز على القطمارس السنوى للأيام والآحاد.

رابعاً: الدورة السنوية الطقسية من خلال القطمارس السنوى :

القطمارس السنوى وهو الكتاب الذى يحوى القراءات الكنسية المأخوذة من الكتـاب المقـدس وتخـدم الاحتفـال الليتورجى والقداس الإلهى. وهذا الكتاب يخدم شهور السنة أياماً وآحاداً. كتاب لآحاد السنة وكتاب آخر للأيام.

١- قراءات الآحاد السنوية :

[1] قطمارس: كلمة يونانية معناها حسب اليوم، لأنه يحوى قراءات كل يوم على حدة.

أ- تحتفل الكنيسة فى أيام الآحاد بعمل الثالوث القدوس فى الكنيسة. من حيث خلاصها، ومعايشة هذا الحدث على المستوى الليتورجى هذا على المستوى العام للسنة الطقسية الليتورجية. أما على المستوى الخاص أو التفصيلى لكل شهر أو عدة شهور، فقد جعلت الكنيسة فصول قراءات الآحاد الأربعة لكل شهر تدور حول موضوع واحـد ولنأخـذ مثال لذلك يشرح عمل الثالوث القوس فى حياة الكنيسة كما تشرحه القراءات على مدار السنة الطقسية للآحاد.

✝ **آحاد شهر توت** : تتحدث عن محبة الله الآب للبشر.

✝ **آحاد شهر بابه حتى شهر بشنس** : تتحدث عن نعمة الإبن الوحيد ربنا يسوع المسيح إلى شعبه فـى الكنيسـة حيث نرى:

- سلطان المسيح على النفوس.
- نعمة الإنجيل الممنوحة للمؤمنين والكنيسة.
- ظهور المسيح بين المؤمنين فى الكنيسة.
- خلاص الأمم.
- إعداد مائدة لكل المؤمنين فى الكنيسة.
- ملك المسيح على المؤمنين فى الكنيسة.

✝ **آحاد شهر بؤونه** : حيث تتحدث عن شركة وموهبة الروح القدس المعطاة فى يوم الخمسين، وهذا الشهر هـو الذى يقع فيه عادة عيد حلول الروح القدس.

✝ **آحاد شهر أبيب** : حيث نجد عمل الإبن فى الكنيسة من خلال المعونة المعطاة إلى الأباء الرسل فـى خـدمتهم وكرازتهم.

✝ **آحاد شـهر مسـرى** : حيث تختم الكنيسة موضوع القراءات بالتحدث عن مصير الكنيسة فى هذا العالم وعنايـة المخلص بالكنيسة حتى نهاية العالم.

✝ **أحد النسىء** : حيث تدور قراءات هذا الأحد عن مجىء السيد المسيح الثانى وإنقضاء العالم.

ب- نرى حياتنا فى المسيح واحتفالنا بالخلاص من خلال الترتيب المنطقى لقراءات الآحاد حيث بدء العام القبطـى فى شهر توت بإرسال يوحنا المعمدان لتهيئة النفوس بالتوبة (الأحد الأول) لاستقبال مخلص العالم. ثم تسير القراءات حتى نهاية العام حيث الحديث عن المجىء الثانى الديونة.

ج- كما روعى فى الاحتفال السنوى للآحاد أن السنة القبطية سنة زراعية، حيث نجـد قـراءات الأحـدين الأول والثانى من شهر هاتور على مثل الزارع حيث بذار القمح وبقية المحاصيل الشتوية الهامة. ومازال المثـل القبطـى يقول: "إن فاتك زرع هاتور أنتظر على السنة تدور".

٢- قراءات الأيام على مدار السنة :

ذكرنا سابقاً أن الكنيسة المقدسة خصصت قراءات الآحاد لنحتفل بعمل الثالوث القدوس فى حياة الكنيسة. أما قراءات الأيام فقد رتبتها على سنكسار اليوم (سيرة قديس اليوم) وجعلتها مرتبطة معاً. وإذا كان سنكسار أحد الأيام به أكثر من سيرة قديس غالباً ما تأخذ أبرز هذه الشخصيات وترتب عليها قراءات اليوم. وتوجد فى القطمارس السنوى كله ٥٥ يوماً فقط كأيام خاصة بالشهداء والآباء البطاركة والقديسين والعذارى.. الخ أما باقى الأيام فتسمى بالأيام (المحولة) أى التى ليس لها قراءات خاصة ولكنها تحال أو تحول إلى هذه الأيام الخاصة (٥٥).

أمثلة لذلك :

- عيد نياحة القديس أنطونيوس أب الرهبان فى يوم ٢٢ طوبة له قراءات خاصة وعندما نحتفل بسيرة أحد القديسين المتشابهين له فى السيرة تقرأ هذه القراءات نفسها. مثل عيد القديس إيلاريون فى ٢٤ بابه، والقديس أسحق قس القلالى فى ١٩ بشنس... الخ.

- عيد نياحة الأنبياء يوجد قراءات خاصة بنياحة القديس موسى النبى ٨ توت وعندما يحتفل بنياحة أشعياء النبى فى يوم ٦ توت، عيد نياحة هوشع النبى فى يوم ٢٣ برمهات تحول إلى قراءات ٨ توت.

- وهكذا فى قراءات الأيام الخاصة بالأباء بطاركة الإسكندرية (٢٩ هاتور) نياحة الأنبا بطرس خاتم الشهداء. والأيام الخاصة بنياحة بطاركة الكنيسة الجامعة (١٧ توت) والأيام الخاصة باستشهاد العذارى (٣٠ طوبة)... الخ.

إن الاحتفال الليتورجى على مدار السنة يبرز لنا تاريخ الخلاص وعمل الله فى قديسيه يوماً بيوم. كما تعكس لنا الكنيسة حياة المسيح المعاشة بالإنجيل الحى خلال سيرة القديس. وبهذه المحاورة الثلاثة للدورات الطقسية (اليومية، الأسبوعية، والسنوية) دخلت الكنيسة الزمان لتقديسه، وتحمل اللازمنى فيها لتعلن حلول الله فى الزمان فنتلاقى معه ساعة بساعة ويوم بيوم، وحدث بحدث حتى ندخل إلى الأبدية، ونحن مازلنا تحت سلطان الزمان.

٣

القداس الإلهى
أ- رحلة خلاص

مقدمة :

✝ يقدم لنا القداس الإلهى "سر الصليب" وهو العبور Pass-over من الموت إلى الحياة وهو "سر التجديد المستمر" لبشريتنا الضعيفة بإتحادها باللانهائى وهو سر الدخول إلى والتمتع بأعماق محبة الله غير المحدودة للإنسان.

✝ فى القداس الإلهى بأجزائه الثلاثة تقديم الحمل وقداس الموعوظين وقداس المؤمنين تقدم لنا الكنيسة الخلاص كتاريخ وكعقيدة وكحياة، ففى تقديم الحمل نرى قصة الخلاص أو تاريخ الخلاص وفى قداس الموعوظين نرى عقيدة أو فكر الخلاص وفى قداس المؤمنين نرى حياة الخلاص.

- فى تقديم الحمل نرى الخلاص وفى قداس الموعوظين ندركه وفى قداس المؤمنين نحياه.

- فالخلاص فى القداس هو رؤية واعية معاشه ولا يعنى هذا أن كل جزء منفصل عن الآخر فنحن نتمتع بهذه العطايا فى كل جزء فى القداس ولكن جزء يغلب عليه التاريخ وآخر يغلب عليه الفكر وآخر يجسد بوضوح الحياة.

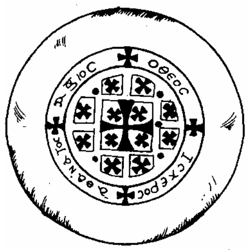
✝ فى تقديم الحمل الخلاص كوجود وفى قداس الموعوظين كفكر وفى قداس المؤمنين كحياة كمثال لدور الأقانيم الثلاثة فالخلاصفى خطة الآب لتجديد الإنسان تممه لنا الإبن الوحيد وأعلنه بكل تفاصيله فى تجسده وموته وقيامته وأعطاه لنا الروح القدس فى الأسرار.

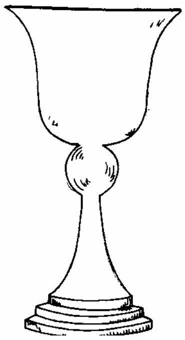
✝ تقديم الحمل "قصة الخلاص".

✝ "الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء" (١بط١:١٠).

✝ يبدأ تقديم الحمل بنبوات العهد القديم ممثلة فى "صلاة المزامير" التى تكلمت كثيراً عن الخلاص لتعلن لنا أن الخلاص هو موضوع الكتاب المقدس كله ثم "إختيار الحمل" من أفضل قربانة كإشارة للحمل بلا عيب جسد الكلمة و "تعميد الحمل" بالماء إشارة إلى بدء رحلة الخلاص والآلام و "حمل الصليب" إشارة إلى حمل كل خطايا البشر "ورفعه لأعلى" أمام كل من فى الكنيسة لإعلان أن الخلاص هو مجد الثالوث وبنيان الكنيسة "والدوران حول المذبح" إشارة إلى رسالة الخلاص لكل إنسان فى العالم ثم "الرشومات الثلاث" كإعلان عن شركة الثالوث فى عملية الخلاص وكتقديس للخبز والخمر "وصلاة الشكر" كتعبير تلقائى للكنيسة عن فرحتها بالخلاص وأخيراً "تحليل الخدام" عطية مجانية من الثالوث والكنيسة لكل تائب ليتمتع بعطايا الخلاص.

ففى قصة الخلاص :





نرى تدبير الخلاص	فى صلاة المزامير
وفراده المخلص	فى إختيار الحمل
وسرائرية الخلاص	فى تعميد الحمل
وعمق الخلاص	فى حمل الصليب
وعظمة الخلاص	فى رفع الحمل والصليب لأعلى
وعمومية الخلاص	فى الدوران حول المذبح
وشركة الثالوث	فى الرشومات
ولسان حال الكنيسة	فى صلاة الشكر
وعطية كل عضو	فى تحليل الخدام

قداس الموعوظين (تعليم الخلاص) :

"مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية".

✝ يقدم لنا قداس الموعوظين المفهوم والفكر الأرثوذكسى للخلاص ويشمل:

- النعمة فى قراءات البولس كأساس الخلاص "بالنعمة أنتم مخلصون" (أف ٢:٥) والمقصود بها خلاص الله المجانى وبره الإلهى المعطى لكل إنسان كنتيجة لمحبة الله غير المحدودة للإنسان لذا يختم بكلمة "نعمة الله الآب تحل على جميعنا آمين".

- إرادة الإنسان فى قراءات "الكاثوليكون" (إن كان البار بالجهد يخلص) ويتمثل فى التأكيد على دور الإنسان فى قبول الخلاص ومدى إيجابيته فى التمتع بكل وسائط الله الخلاصية والبعد عن شهوة الفساد التى فى العالم لذا يختم بكلمة "لا تحبوا العالم والأشياء التى فى العالم".

- الكنيسة وعمل الروح القدس فى قراءات "الابركسيس"، "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (أع ٢:٤٢) فالكنيسة هى مجال فيض النعمة وعمل الروح القدس ومجال تقديس إرادة الإنسان فى صلواتها وأصوامها وكل عبادة فيها.

- القديسين فى السنكسار "مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين" (أف ١:١٨)، "إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا" (عب ١٢:١)، كامتداد للكنيسة وفعل الروح القدس وكأيقونات للخلاص.

بشارة الخلاص موضوع الكتاب المقدس كله ممثلة فى مزمور وإنجيل القداس "لست أستحى بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص" (رو ١:١٦)، "عندنا الكلمة النبوية وهى أثبت التى تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم" (٢بط ١:١٩).

فالخلاص هو عمل نعمة الفداء الإلهية المجانية فى إرادة الإنسان الواعية الإيجابية من خلال فعل الروح القدس فى شركة الكنيسة والأسرار والقديسين مرتكزة على بشارة الخلاص التى هى موضوع الكتاب كله.

قداس المؤمنين (حياة الخلاص) :

يقدم لنا قداس المؤمنين الخطوات العملية لنحيا حياة الخلاص ليس مجرد إنفعالات أو تأملات عاطفية أو تغيير مؤقت بل هو حياة متمثلة فى :

☦ **الإيمان الواحد نعلن عنه فى** "قانون الإيمان": فأصالة الإيمان ونقاوته تدعم حياة الخلاص وتحصنه من أى تعاليم غريبة لذلك يبدأ القداس بإعلان جهورى تعلن فيه الكنيسة عن إيمانها "أيها الأحباء إذ كنت أصنع كل الجهد لأكتب إليكم عن الخلاص المشترك اضطررت أن أكتب إليكم واعظا أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقديسين" (يه ٣)، "وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية" (قانون الإيمان).

☦ **الصلح مع الله والناس فى** "صلاة الصلح": "إن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا، قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور" (رو ١٢،١٣: ١١) ففى كل قداس نجدد صلحنا مع الله بالتوبة طهرنا من كل دنس.. "ومع الناس بالمحبة" أجعلنا مستحقين أن نقبل بعضنا بعضاً...

☦ **التسبيح فى** "تسبحة السمائيين": "وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لاينطق به ومجد نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس" (ابط ١: ٨)، "يسبحونك على الدوام بغير سكوت قائلين" من صلوات القداس الإلهى "الشكر المقدم لله هو خلاص الإنسان" (أنبا أنطونيوس).

حياة التسبيح هى ثمرة الخلاص فيها يشترك الإنسان مع الملائكة فى تسبحة الخلاص (رؤ ٥).

☦ **التقديس فى** "صلاة أجيوس والرشومات وحلول الروح القدس": "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨)، "وجعلنا له شعباً مجتمعا وصيرنا أطهاراً بروحه القدوس" من صلوات القداس الإلهى.

حياة الخلاص هى التقديس الدائم لطبيعتنا الضعيفة خلال عمل الروح القدس (اكو ٦: ١١، كو١٠،٣: ٩)، "ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين" من صلوات القداس الإلهى.

☦ **الشركة فى** "الأواشى والمجمع": "فأطلب أول كل شىء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس... لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذى يريد أن الجميع يخلصون" (اتى ٢: ١-٤)، "صلوا من أجل خلاص العالم" من صلوات القداس الإلهى.

الخلاص شركة فيها نصلى من أجل الكنيسة كلها ممثلة فى الأب البطريرك والآباء الأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الشعب وأيضاً من أجل خلاص العالم والخليقة كلها ثم تمتد شركتنا أيضاً إلى كل السمائيين.

✝ **القسمة** "التذكر الدائم والحى لفعل المسيح الخلاص": "قفوا وانظروا خلاص الرب" (خر ١٤:١٣) فـى صـلوات القسمة نقف ونتأمل فيما عمله المسيح لأجل خلاصنا.

✝ **الشهادة فى** "الاعتراف والتناول" : "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء" (١كو ١١:٢١).

فحياة الخلاص هى شهادة دائمة لموت الرب وقيامته :

فحياة لخلاص هى إيمان واحد مسلم لنا من الرسل، وصلح متجدد مع الله والناس، وتسبيح دائم لفعل الخـلاص، وتقديس مستمر خلال عمل الروح القدس، وشركة لا تنقطع مع أعضاء الجسد ومع الخليقة كلها، وتذكر حـى دائـم لفعل الخلاص، وشهادة دائمة لموت الرب وقيامته.



ب- تقدمة الحمل

نيافة الأنبا رافائيل

أود - صديقى المحبوب - أن أنبه ذهنك إلى ملاحظة قد تفوت علينا دون أن ندرك قوتهـا.. وهـى.. ملاحظـة العابدين حين خروجهم من الكنيسة بعد القداس..

لو أنك أمعنت النظر فى وجوه الناس ستجد البشر والفرح يملأ عيونهم..

إن السر فى ذلك هو بهجة حضور المسيح فى القداس "لكنى سأراكم فتفرح قلوبكم، ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو ٢٢:١٦).

حتى وإن كان البعض لا يفهم مقاطع القداس اللاهوتية، وكذلك المعانى الطقسية... وقد يظن آخـرون أن تـلاوة بعض الألحان باللغة القبطية يجعل المتابعة غير سهلة والإدراك غير كامل للمعنى.. ومع ذلك فالفرحـة تمـلأ قلـب الجميع بسبب حضور المسيح حسب وعده الصادق.

فكم بالحرى حينما ندرك بعض المعانى الطقسية واللاهوتية فى طقس القداس المبدع.

بلاشك ستزيد فرحتنا، وستنير حياتنا بقوة القصد الإلهى فى ترتيب القداس تعال معى نبحر فى خضم هـذا البحـر الجليل... لعلنا نصطاد لآلىء كثيرة الثمن، تضاف إلى كنزنا الروحى، فنصير أغنياء حتى نعطى آخرين أيضاً.

ماذا عن طقس المزامير (الأجبية) ؟

الكنيسة تعلمنا الالتزام بالأجبية تحت أى ظرف.. فإذا كان وقت القداس سيقع فى السـاعات التـى نصـلى فيهـا بالأجبية.. ولئلا يظن أن القداس بديل للمزامير؛ فالكنيسة تسبق وتصلى مزامير السواعى التى يقع فيهـا القـداس.. ومن هنا جاء نظام الصلوات ففى أيام الصوم حيث يجب أن ينتهى القداس فى ساعات متأخرة مـن النهـار؛ حتـى نستطيع أن نصوم صوماً إنقطاعياً.. فى هذه الأيام تصلى الكنيسة مزامير السواعى الثالثة والسادسة والتاسعة.

أما فى غير أيام الصوم الانقطاعى حيث سينتهى القداس مبكراً فنكتفى بصلوات الثالثة والسادسة فقط وفى الصوم الكبير على وجه الخصوص تضاف أيضاً صلوات الغروب والنوم قبل القداس.

ويجب أن يكون قربان الحمل موجوداً بالكنيسة أثناء صلوات المزامير.. لأننا نعتبرها جزءاً من صـلوات تقـديس القربان.

ويشترك كل المؤمنين فى الكنيسة فى تلاوة مزامير الصلاة الواحدة.. برهان أننا جميعاً جسد واحد.. فما تصـليه أنت بمفردك فى البيت (مز ١٢) أو تصليه الجماعة المقدسة معاً (١٢مزمور أيضاً) لأننا جميعاً صرنا واحداً فى المسيح.

٢- شكل القربانة ومعناها :

عندما يختار أبونا قربانة للذبيحة يراعى أن تكون مستديرة (رمز للأبدية التى بلا بداية ولا نهايـة)، وأنها بلا عيب من جهة الخبيز (لأن المسيح حمل بلا عيب) ولا يوجد فيها تشققات (لأن جسد المسيح أصبح هو الكنيسة الذى بدون انقسامات).

ويكون الختم واضحاً فى الوسط وهو يتكون من صليب كبير فى الوسط (الاسباديقون) يرمز إلى المسيح فى وسـط الكنيسة إثنى عشر صليبا حول الاسباديقون ترمز إلى الاثنى عشر رسولاً محيطين بالمسيح ويخدمونه.

باقى القربانة : ترمز إلى جمهور جماعة القديسين المعمدين باسم الثالوث والذين صاروا بسبب المعمودية أعضاء فى جسد المسيح الواحد.. يربطهم به فى المركز سر الكهنوت المقدس (الاثنى عشر صليبا).

كل مؤمن فى الكنيسة مرموز إليه بحبة حنطة نبتت من أجلنا الـذى هـو ربنـا يسـوع المسـيح (بالمعموديـة).. ويجمعون الحنطة فى جرن واحد (الكنيسـة).. ثم تطحن الحنطة بآلام العمل الروحى سواء الاضـطهاد أو النسـك أو تعب الخدمة ثم يعجن الدقيق بالماء (رمز المعمودية والروح القدس) يضاف إليه الخميرة (رمز للخطية لأننا غير معصومين من الخطأ.. وكذلك لأن المسيح حمل خطايانا) ثم تدخل فى النار (رمز لآلام صليب المسـيح التى أماتـت الخطيـة فـى الجسـد) وتقدم القربانة على المذبح وكأن الكنيسة تقدم ذاتها ذبيحة حب فى المسيح ويحل فى القربانة ويتحقق حقـاً المعنـى اللاهوتى الرائع أن الكنيسة هى جسد المسيح. هذا دون أن تتحول الكنيسة إلى إله يعبد.. ودون أن يفقـد المسـيح لاهوته فنحن جسده من لحمه ومن عظامه ولكن يظل المسيح هو المعبود وتظل الكنيسة هى الجسد العابد.

كمثلما يحدث فى سر الزيجة المقدسة حيث تتحد العروس بالعريس ويصير الإثنان جسداً واحداً ومـع ذلـك يظـل الرجل رجلاً، والمرأة امرأة.

هل الصينية رمز للمذود أم للقبر؟

هذا السؤال معناه سؤال آخر هل القربانة التى فى الصينية هى جسد المسيح فى حالة ولادته من العـذراء (يسـوع الطفـل)، أم جسد يسوع الممزق على الصليب، أم جسد يسوع القائم من الأموات أن نص الإعتـراف الـذى يقولـه الكاهن فى القداس يجيب لنا على هذا السؤال: "هذا هو الجسد المحيي (قائم ومحى) الذى أخذه إبنك الوحيد.. مـن سـيدتنا.. القديسة (المولود من العذراء) وسلمه عنا على خشبة الصليب المقدس (المصلوب)".

فربنا يسوع لا يمكن تجزئته.. بل هو حاضر على المذبح بكل حياته.. لذلك فالقداس هو تذكار المسـيح "اصنعوا هذا لـذكرى".. تذكار فى كل مراحل حياته معاً "ففيما نحن نصنع ذكـرى آلامـه المقدسـة وقيامتـه مـن الأمـوات وصـعوده إلى

السموات وجلوسه عن يمينك أيها الآب. وظهوره الثانى الآتى من السموات المخوف المملوء مجداً".. لاحظ هنا أننا أيضاً نصنع ذكرى مجيئه الثانى.. بمعنى أن المسيح يحضر معنا على المذبح حاملاً كل حياته بما فيها مجيئه الثانى للدينونة.

لذلك فالصينية هى المذود وهى الصليب وهى القبر وهى العرش الإلهى وهى السحاب المقدس الذى سيجىء عليه المسيح إلهنا..

واللفائف التى حول القربانة هى الأقماط المقدسة التى لفت الطفل يسوع وهى أيضاً الأكفان المقدسة التى كفنوا بها الجسد المقدس.

٤

القراءات الكنسية

القمص أثناسيوس بنيامين

القراءات الكنسية ومدلولاتها :

المقصود بالقراءات الكنسية هو هذه الفصول المأخوذة من الإنجيل لتقرأ أثناء الصلوات الطقسية. ونحن نعلم أن هناك قراءات كثيرة أثناء الصلوات الطقسية مثل: السنكسار، الطروحات، الدفنار... الخ. لكن حينما نقول القراءات الكنسية فنحن نقصد النصوص المختارة من الكتاب المقدس لقراءاتها أثناء الصلوات الليتورجية. سواء كان رفع بخور عشية أو قداسات أو أسرار الكنيسة وطقوس المناسبات المختلفة.

والقراءات الكنسية تعبر عن الأصل أو الأساس الإنجيلى لكل عبادات الكنيسة. إذ تتحول كلمة الإنجيل إلى صلاة وعبادة وبالتالى فالكنيسة الأرثوذكسية هى الأكثر فى لستعمال كلمة الإنجيل فى حياتها. إن كان من خلال شرح وتفسير كلمة الإنجيل أثناء عباداتها وطقوسها، أو تقديمها كمادة للصلاة والحياة معاً. ونحن نحتاج كثيراً لأن نربط بين كلمة الإنجيل والطقس الذى نمارسه حتى لا توجد هذه المسافة الوهمية عند الكثيرين بين الإنجيل والطقس. إن كنيستنا الأرثوذكسية هى الانجيلية بحق لأنها تحول كلمة الإنجيل من فكر إلى صلاة وعبادة، والقراءات الكنسية تجعلنا نصلى بالروح و الذهن ولا نكتفى بمجرد تحليل معانى كلمات الإنجيل ولستخراج المعانى المؤثرة وإتقان النطق بالعبارات والتأملات بنغمة تحرك أعماق النفس ورواسبها دون أن تعطى قوة روحية للحياة والإختبار إن كنيستى تقدم لى كلمة الإنجيل من خلال العبادة لأحيا بها وأتمثلها فى حياتى كما يمتص الجسم الغذاء ويحوله إلى خلايا وأنسجة، وبهذا تكون كلمة الله للحياة وبها أتحد بكلمة الله المتجسد فى سر الإفخارستيا إن الكنيسة لا تعتمد على إثارة كوامن النفس وإلهاب مشاعرها وعواطفها، لكنها تعتمد على فعالية الكلمة من خلال الإفخارستيا إذ تغير الإنسان من العتيق إلى الإنسان الجديد. وحينما تقدم كلمة الإنجيل من خلال الحياة الكنسية. فإن الكلمة تقدس النفس وتطهرها والإفخارستيا تحول الكلمة إلى حياة وبهذا يتم إصلاح النفس وشفاؤها وتجديدها دون أن تمر النفس بمرحلة نبش الخبرات القديمة و إثارة إنفعالاتها بما تخلفه من مظاهر للروحانية الشكلية. هنا تكمن حكمة الكنيسة فى إلتزامها بتقديم الإنجيل من خلال العبادة والليتورجيا.

خدمة الكلمة وأهميتها :

كانت أول خدمة علنية للرب يسوع يوم أن وقف ليقرأ فى المجمع فى كفر ناحوم ودفع إليه سفر أشـعياء ووجـد المكان المكتوب فيه "روح الرب على لأنه مسحنى أبشر المساكين... وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لو ٤) وقد جعلت الكنيسة من هذا الحدث قوة روحية متجددة مصاحبة لكلمة الإنجيل، إن حضور الرب فى الكنيسة يجعله يمارس نفس الفعـل، إنه ينطق بكلماته على لسان الشماس. إن وقفة الرب يسوع ليقرأ مازالت مستمرة من خلال خدمة الكلمـة. ورائعـة هى كلمات سر البولس التى يصليها الكاهن سراً بعد قراءة فصل البولس، وفيها يعلن، إن الكلمات هى أقوال الـرب يسوع يقرأها القديس بولس بلسان الشماس. تقول هذه الصلاة: "أنعم علينا وعلى شعبك بعقل غير منشغل وفهم نقى، لنعرف ما هى منفعة تعاليمك المقدسة التى قرئت علينا من قبله (بولس الرسول) الآن".

وتتضح أهمية القراءات الكنسية من الآتى :

١- أن الذى يقرأ الفصول فى الصلوات الليتورجية شخص يقام بيد الأسقف بعد تزكية الشعب وله شهادتهم عنـه أن له سيرة إنجيلية. وليس لمجرد مواهبه وقدرته الطبيعية على القراءة بشكل جيد. وهو ما يعرف بالأناغنوسـتس أى قارئ الفصول. وكأن الطقس الكنسى يتطلب أن من يقف ليقرأ يكون شخصاً قد فهم الإنجيل وعاشه بالحق حتـى يصدق فيه أن الرب وقف ليقرأ بلسانه.

٢- أن الكلمة تقدم من خلال خدمة كهنوتية ونحن نرى ذلك أثناء الصلوات الطقسية المختلفة فبينما يقف الشماس ليقرأ يقف الأب الكاهن على المذبح بيده المجمرة المملؤة بخوراً ويدور حول المذبح، ويطوف الكنيسة، أو يقف أمام الإنجيل أثناء قراءته ويقدم البخور ليس للشماس ولا للكتاب الذى يحتوى القراءات لكن إعلاناً عـن حضـور الـرب نفسه ليعطى قوة وحياة لكلماته وله وحده يقدم البخور.

٣- الخدمة الكهنوتية المصاحبة للقراءات علامة حضور الرب نفسه والروح القدس الذى أوحى بالأسفار المقدسة لكاتبيها، وهو فى نفس الوقت مصاحب للكلمة أثناء قراءتها ليجعلها كلمة حية ولها سلطان لدى القارئ والمسـتمع معاً "طوبى لمن يقرأ ومـن يسـمع"، وعلامة حضور الرب نفسه أثناء القراءات، البشارة التى توضع على المذبح دائمـاً، ويطوف بها الشماس حول المذبح أمام الأب الكاهن أثناء قراءة الفصول. ولذا فالبشارة لهـا نفـس أهميـة أوانـى المذبح.

٤- حينما أعلن الرب للقديس يوحنا أسرار السماء فى سفر الرؤيا، وطلب منه أن يكتب ما يرى، ثم يقول: "طـوبى لمن يقرأ" ذلك لأن القراءة هنا تعنى الفهم وإدراك سر الإنجيل.

الأصول الإنجيلية لقراءة الأسفار :

✝ يرجع تاريخ قراءة كلمات الرب إلى أيام موسى النبى حينما كان يجتمع كل جماعة بنى إسرائيل فى المناسبات الدينية والأعياد وكان الشعب يجتمع فى جو مهيب. وبتدقيق شديد واستعداد قلبى ونفسى وحالة تقديس، فى هذا الجو كان يصعد موسى النبى على مكان مرتفع ليقرأ كلمات الرب وشريعته ووصاياه.

✝ وبعد موسى النبى كان يشوع بن نون الذى أدخل الشعب إلى أرض الموعد وكان عليه أن يقرأ كلمات الـوحى ليعلن سلطان الله على شعبه. ولعلنا نلاحظ فى الكنائس الأثرية والأديرة وبعض الكنائس الجديدة وجود مكان مرتفـع بدرجات فى عمود من الناحية البحرية للكنيسة وهو ما يعرف باسم "الأنبـل" وكان مخصصا للقراءات قديماً إعلاناً عن مكانة وسلطان كلمة الله الآتية من فوق، كما سلم الرب موسى أسفار الشريعة فوق الجبل، وكما صعد الـرب علـى الجبل وفتح فاه وعلم تلاميذه (مـت ٥) وجلوس الرب للتعليم هو وضع قضاء، وكأن الـرب يعلـن سـلطانه الإلهـى وقضاءه المتضمن فى كلمته.

✝ وفى متابعتنا لتاريخ القراءات فى العهد القديم نسمع عن يوشيا ملك يهوذا الذى بدأ يجمع التقـدمات لتجديـد وترميم بيت الرب، وإذ بحلقيا الكاهن يكتشف فى بيت الرب سفر الشريعة فأرسله للملك يوشيا بيد شافان الكاتب الذى قرأ للملك ما هو مكتوب فى الشريعة، فمزق يوشيا الملك ثيابه خوفاً ورعدة من كلمات الشريعة (٢مـل ٢٢:٨-١١) وقـد عبر الوحى عن سلطان كلمة الرب المقروءة بقوله عن يوشيا "لم يكن قبلـه ملـك قـد رجـع إلى الـرب بكـل قلبـه وكـل نفسه حسب كل شريعة موسى" (٢مل ٢٣:٢٥).

✝ ويأتى بعد ذلك عزرا الكاهن والكاتب وكان الشعب قد إجتمع فى يوم ممطر احتفالا بإعادة بنـاء بيـت الـرب المتهدم وتجديده: "فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة... وكل فاهم ما يسمع فى اليـوم الأول مـن الشـهر السـابع، وقرأ فيها أمام الساحة. ووقف عزرا الكاتب على منبر الخشب وفـتح عـزرا السـفر أمـام كـل الشعب لأنـه كـان فـوق كـل الشعب.. وقرأوا فى السفر فى شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة" (نـح ٨:١-٨).

ويمكننا أن نلاحظ من قصتى يوشيا الملك وعزرا الكاهن أى جو تقرأ فيه كلمات الرب :

١- أن الرب من تقديسه لكلمته أمر موسى أن يرش سفر الشريعة بدم العهد تماماً كتابوت العهد وباقى محتويات الخيمة .

٢- أن عزرا الكاهن طلب من كل الشعب أن ينفصل عن كل علاقة أو ممارسة أو عادات أجنبية، إنـه يطلـب أن يتهيأ الشعب لسماع الشريعة وهو فى حالة طهارة وقداسة ومخافة للرب.

وفى العهد الجديد : يأتى رب المجد يسوع الذى وقف ليقرأ فى المجمع (لـو ٤) كما كان اليهود يقـرأون أسـفار موسى فى كل سبت فى المجامع المنتشرة فى المدن المختلفة "لأن موسى منـذ أجيال قـديمة له فى كل مدينـة من يكرز به إذ يقرأ فى المجامع كل سبت" (أع ٥:٢١) ثم يوصى بولس الرسول أن تتبادل الكنائس رسائله فيما بينها لتقرأ "ومتـى قرئت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضاً فى كنيسة اللاودكيين والتـى مـن لاودكيـة تقرأونهـا أنـتم أيضـاً" (كـو ٤:١٦).

- هذا ويشير القديس بطرس الرسول إلى تداول واستعمال رسائل القديس بولس الرسول لدى الذين يكتب إلـيهم (٢بط ٣:١٦،١٥).

- وأخيراً... يأتى إعلان سفر الرؤيا وما فيه من تطويب لمن يقرأ ويفهم، وضرورة قراءة ما يرسله الـرب بيـد عبده يوحنا وإن كان الرب أرسل إعلانه لعبيده حينما كان عبده يوحنا بالروح فى يوم الرب (رؤ١) فإن يـوم الـرب أو أول الأسبوع هو اليوم الذى كانت تجتمع فيه الكنيسة للاحتفال بالإفخارستيا بكسر الخبز (أع ٢:٤٢) إذن قراءة الأسفار كانت تتم خلال الاحتفال بالسر المقدس والصلوات الليتورجية.

- وفى مطلع القرن الثانى الميلادى تأتى شهادة بلينى الأصغر حاكم مقاطعة بيثينية بأسيا الصغرى وتتضـمن أن المسيحيين يجتمعون فى: "يوم الشمس" أى يوم الأحد، ويأتون من جميع القرى ليجتمعوا فى المدن لتمجيد المصلوب، ويقرأون من أسفار العهدين، ثم عظة الأسقف للحث على الفضيلة والتقوى مع الجميع.

الصلوات الطقسية التى تتضمن قراءات كتابية :

١- **القداس الإلهى :** ويتضمن ٦ قراءات عبارة عن إنجيل عشية، باكر، البولس، الكـاثوليكون، الإبركسـيس، إنجيل القداس. مع مراعاة قراءة جزء من المزامير قبل فصل الإنجيل. هذا عن القداسات أيام وآحاد السنة فى فترات الإفطار وأصوام الدرجة الثانية. أما بالنسبة لأيام الصوم الكبير، وصوم نينوى و سبت ليعازر فنقرأ أجزاء من العهـد القديم فى رفع بخور باكر وقبل قراءة الإنجيل، وهو ما يعرف بالنبوات، وفى قـداس خمـيس العهـد يقـرأ فصـل الإبركسيس والإنجيل فى سحر الخميس الكبير أو رفع بخور باكر بينما يقرأ فصل البولس والإنجيل فى القداس. وفى ليلة عيد القيامة تقرأ النبوات فى توزيع سبت الفرح.

٢- **سر المعمودية :** وقراءته فى تقديس مياه المعمودية أو قداس مياه المعمودية وقراءاته عبارة عن فصول : البولس، كاثوليكون، إبركسيس، إنجيل ثم قراءات تحليل المرأة وهى عبارة عن فصل البولس والإنجيل.

٣- **سر مسحة المرضى :** وتوجد قراءات لكل صلاة فصل الكاثوليكون والإنجيل للصلاة الأولى، ثم فصل البولس والإنجيل لكل صلاة من الست صلوات التالية .

٤- **سر الإكليل :** وفيه ٤ قراءات فصل البولس والإنجيل لكل من الإملاك ثم الزواج.

٥- **صلوات حميم الأطفال :** فى اليوم السابع لميلادهم، وهى بمثابة دعوة الكنيسة لهذا العضو الجديد ومباركة منها لميلاده إلى أن ينال المعمودية، إنه اليوم الذى يتحدد فيه إسم الطفل وحضور الكنيسة هو عملية دعوة المولـود له علامة الإيمان حتى لا يحمل اسماً له مدلول غير إيمانى. وله قراءة لفصل البولس وفصل الإنجيل ومزامير الهوس الرابع، وكان الطقس القديم يتضمن نبوات من العهد القديم.

٦- **صلوات اللقان الثلاث :** الغطاس وخميس العهد وفصح الرسل. ويشمل قراءات من النبـوات ثـم البـولس والإنجيل.

٧- **صلوات السجدة :** وهى على نفس نظام اللقان حتى أن الطقسين لهما كتاب واحد هو اللقان والسجدة.

٨- **صلوات البصخة.**

٩- **مناسبات التجنيز والترحيم.**

١٠- صلوات تبريك المنازل الجديدة : وهكذا فإن كل أدوار ومراحل حياة الإنسان تقدسها الكنيسـة بالصـلاة وكلمة الإنجيل وهكذا تحيا الكنيسة حياة إنجيلية بالفعل، إنها لاتصلى إلا بالإنجيل ولا تقـرأ الإنجيـل أو تشـرحه إلا بالصلاة حسب وصية الروح القدس: "مصلين فى الروح القدس" (يه ٢٠).

الكتب الطقسية التى تحتوى فصولاً إنجيلية :

١- القطمارس : وأصل الكلمة يونانى وينطق كطاميروس أى حسب اليوم أو ما يوافق اليوم، أو نصـيب اليـوم لأن لكل يوم قراءة خاصة ولهذا يوجد :

- القطمارس الدوار للآحاد والأيام والأعياد السيدية على مدار السنة.
- قطمارس الصوم الكبير ويشمل قراءات صوم وفصح يونان والصوم الكبير حتى صباح سبت ليعازر.
- قطمارس البصخة ويغطى الفترة من عشية أحد الشعانين وحتى ليلة عيد الفصح أى القيامة المجيد.
- قطمارس الخماسين المقدسة ويخدم الفترة من ليلة عيد القامة وحتى أحد العنصرة أى عيد الخمسـين حلـول الروح القدس.

٢- كتاب اللقان والسجدة.

٣- الأجبية : وتحتوى على مزامير وفصول من الإنجيل موزعة على ساعات اليوم بحيث تغطى أحداث الخـلاص كما تمت فى جسد الإبن الوحيد. وقد تعودت الكنيسة من البداية على الصلاة بـالمزامير "متى اجتمعتم فليكن لكل واحد مزمور" (اكو ١٤:٢٦)، "مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح روحية" (أف ٥:١٩) والعلاقة بين المزامير وحياة الرب أعلنها الرب يسوع نفسه حينما سأل اليهود عمن يكون المسيح إبن من هو "قالوا له إبن داود قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً" (مت ٢٢:٤٣،٤٢) إذن فى المزامير شهادة الروح القدس ونطقه عن شخص الـرب المخلـص وحياته، وهنا تكون الصلاة بالمزامير ليست صلاة بكلمات إنسان اسمه داود لكنها صلاة بكلمات الروح القدس التـى فيها شهادة يسوع المسيح وسر حياته، إنها صلاة بأعماق الروح نفسـه "مصلين فى الروح القدس" (يه ٢٠) لأن المزامير لو كانت مجرد كلمات إنسان فلا يمكن أن توضع كجزء من الكتاب الذى كله موحى به من الـروح القـدس (٢تى ٣:١٦) إنها إذن صلاة بكلمات الروح الذى يشفع فينا بأنات لا ينطق بها (رو ٨:٢٦) ولهـذا، فـالمزامير كصـلاة طقسية تحمل الطابع الشخصى للمصلى: "إليك يارب صرخت"، "اللهم التفت إلى معونتى"، "أحبك يارب ياقوتى"... الخ.

٤- الابصلمودية : وهو كتاب التسبحة وبه بعض أجزاء من الكتاب مأخوذة نصاً للتسبيح بها، فـالهوس الأول هو تسبحة موسى النبى (خر١٥) والهوس الثانى هو مزمور ١٣٥ والهوس الثالث من تكملة سفر دانيـال والهـوس الرابع هو المزامير (مز ١٥٠،١٤٩،١٤٨).

الحكمة الروحية للقراءات الكنسية :

توجد قراءات ثابتة وهى الخاصة بالأعياد السيدية والصوم المقدس والبصخة المقدسة والخماسـين. أمـا بـاقى القراءات والمسجلة بالقطمارس الدوار فهى موزعة على الآحاد والأيام. والهدف الذى تسعى إليه الكنيسـة هـو أن

تخلق فكراً روحياً وحياة إنجيلية فى الإنسان يواجه بهما حياته فى العالم. أى أن الإنسان يحيا وجوده فى العالم وكل ما فيه من أحداث ومناسبات اجتماعية ويكون له فكر وحياة المسيح نفسه، وكما قال أحدهم أن الكنيسة أجرت عملية تعميد للمناسبات التاريخية والإجتماعية وصبغتها بصبغة مسيحية لدرجة أنها حولت المناسبات الخاصـة باحتفـالات المعبودات الوثنية والفيضان وظواهر الكون، كل هذه أخذت صبغةً وطابعاً روحياً. وكذلك فى مواجهة فصول السـنة، من زرع وحصاد، تقدم الكنيسة القراءات المناسبة ففى أوان نضوج الكرم تقدم مثل الكرام والكـرامين وفـى زمـان الزراعة تقدم مثل الزارع الذى خرج ليزرع.

إن القراءات الكنسية هى وسيلة لاكتساب الحياة الروحية لمواجهة ظروف الحياة ومتطلباتها حتى لا يعمل الإنسان للطعام البائد بل للطعام الباقى الذى للحياة الأبدية (يـو ٦) وليهتم الجميع بما فوق، لا بما على الأرض (كـو ٣:٢) وهكذا يتمم الإنسان حياته فى العالم ويحقق مقاصد الله أن يحيا حسب الروح ولا يكمل شهوة الجسد.

كيف بدأت القراءات الكنسية ؟

من متابعتنا لانتشار الكرازة فى سفر الأعمال نجد أن الكرازة كانت تبدأ باليهود دائماً سـواء فـى مجـامعهم أو تجمعاتهم واهتم الكارزون دائماً بإعلان حقيقة شخص الرب يسوع كمخلص ومتمم لمواعيد الله بالخلاص كما جاءت فى الناموس والأنبياء فكانت كلمة الكرازة فى الغالب عبارة عن عرض سريع لأهم أحداث الله مع شعبه فـى القـديم لإثبات أن كل هذا تم كاملاً فى يسوع المسيح وقد سجل سفر الأعمال أربع خطابات بهذا الشكل هى خطـاب القـديس بطرس يوم الخمسين و خطاب القديس اسطفانوس أول الشهداء وخطاب القديس بولس الرسول فى انطاكية بسـيدية وفى روما (أع ٢،٧،١٣،٢٨) وهكذا تسلمت الكنيسة طقس قراءة أجزاء من العهد القديم مع أجزاء من العهد الجديد وكان نموذج الرب يسوع ماثلاً أمام الجميع إذ بعد أن وقف وقرأ من أشعياء عقب قـائلاً: "اليـوم قـد تم هـذا المكتـوب فـى مسامعكم" (لو ٤) وهكذا كانت كل تعليقات المبشرين تبرز دائماً كيف تمم الرب ما هو مكتوب عنه (رو ١٠:١٥) وبالتالى كان الجزء الأساسى الأول هو قراءة أجزاء من العهد القديم، كما أشار إلى ذلك القديس يوستينوس الشهيد فى القرن الثانى المسيحى. وكان قد بدأ أيضاً منذ أيام الرسل تقليد عرض أخبار الكرازة وانتشار الكنـائس (أع ٥:١٦) ويمكننـا القول إذن أنه مع بداية القرن الثانى كانت القراءات عبارة عن أجزاء من العهد القديم، رسائل الآباء الرسل، أخبـار وأعمال الرسل، فصل الإنجيل وساعد على استقرار هذا النظام ظهور فصول الموعوظين. والموعوظون هـم هـؤلاء الناس غير المؤمنين والذين تأثروا بالمسيحية والمسيحيين ورغبوا فى دخول الإيمان فسمحت الكنيسة بحضورهم مع المؤمنين أثناء قراءة الأسفار المقدسة على أن ينصرفوا قبل بداية قداس الذبيحة. ولذا سمى قداس الكلمـة بقـداس الموعوظين والذى اشتمل على قراءات من العهد القديم إلى جانب فصول العهد الجديد ولقد بقى آثار هذا النظام إلـى اليوم فى طقس صوم يونان والصوم الكبير والبصخة المقدسة واللقان والسجدة حيث تقرأ أجزاء من النبوات فى رفع بخور باكر واللقان والسجدة والبصخة.

ولننتبه إلى تعبير : قداس الموعوظين أو ليتورجيا الكلمة، ذلك لأن قراءة الأسفار المقدسة تتم فى حضور الروح القدس الذى أوحى بها لكى يقدس السامعين بكلمة الله فالإجتماع ليس لمجرد التعليم بل للتقديس أيضاً أنـه إجتمـاع عبادة.

كيف يتم إختيار الفصول ؟

كان يوم الأحد قديماً هو اليوم الذي تقام فيه العبادة الليتورجية وكانت الصلوات تبدأ فى وقت متـأخر مـن الليـل وتنتهى بالإفخارستيا مع مطلع الشمس. ثم انفصلت صلوات المساء لتشكل صلوات رفع بخور عشية علـى أن يقـام القداس باكراً بقراءاته. وفى مراحل تالية ومتأخرة بعد استقرار المناسبات و التذكارات وأدوار السنة الطقسـية تـم ترتيب بشكل يتناول الفكرة الروحية للحدث المحتفل به. فكان إنجيل العشية يمثل مدخلاً وتمهيداً ثم تتنـاول قـراءات القداس مختلف جوانب الموضوع مكملة بعضها بعضاً بحيث يكون موضوع لمناسبة وحدة واحدة يمكن أن يتحول إلى تدريب أو منهج روحى للإختبار.

ودائماً ترتبط القراءات بالمناسبة الكنسية سواء كان عيداً سيدياً، أو تذكارات السيدة العذراء والملائكـة والرسـل والشهداء والقديسين أو أحداثاً كنسية معينة. وتتنوع القراءات أيضاً الخاصة بالفئة الواحدة لتبرز جوانب معينة. ففى تذكارات الشهداء ترتبط القراءة بأهم الجوانب فى حياة كل شهيد، ولذا تختلف ما بين ٢٣ برموده، ١٥ هـاتور، ١٣ برمهات... الخ. وهكذا الأمر بالنسبة لتذكارات الأساقفة فهناك قراءات للأساقفة الشهداء والأساقفة المعلمين وعلـى مدار السنة يعتبر إنجيل قداس الأحد هو الموضوع الرئيسى لكل الأسبوع سواء كان الصوم المقدس، أو الخماسـين المقدسة، أو باقى أدوار السنة الكنسية.

وهناك ملاحظة خاصة بقراءات الصوم المقدس، حيث اعتدنا جميعاً على اعتبار أن قراءات الأسـبوع تبـدأ مـن الاثنين وتنتهى بالأحد له. والموضوع يحتاج إلى مناقشة فى ضوء الملاحظات التالية :

١- دائماً وبشكل مطلق يبدأ الأسبوع الكنسى بالأحد فهو يوم الرب اليوم الجديد.

٢- تبدأ قراءات الصوم الكبير عملياً وفعلياً من يوم سبت الرفاع وليس بيوم الاثنين من الأسـبوع الأول وتنتهـى بقراءات جمعة ختام الصوم. كما هو مدون بكتاب القطمارس.

٣- من متابعة فصول آحاد الصوم الكبير نجد أن إنجيل صلاة مساء الأحد امتداد أو تكرار أو جـزء مـن إنجيـل القداس ويتكرر نفس فصل الإنجيل عدة مرات فى الأيام التالية إن لم يكن فى إنجيل باكر ففى إنجيل القداس. على أن يكون يوم السبت بمثابة ربط يجمع الأيام السابقة بالأحد التالى.

٤- لو أن القراءات تبدأ بالاثنين وتنتهى بالأحد فكان يجب أن تنتهى قراءات الأسبوع السابع بأحد الشعانين، وهذا غير موجود لأن أحد الشعانين ضمن أسبوع الآلام وبالتالى يصبح الأسبوع السابع بدون يوم أحد كما أن أحد الرفـاع يصبح خاصاً بالأسبوع السابق على الصوم. هذا مع الإشارة إلى أن سبت ليعازر فى الأصل هو مقدمة لأسبوع الآلام ويصلى سنوياً وليس بطقس الصوم.

أما عن تاريخ تدوين كتب القطماروس، ربما نجد صعوبة فى تحديد إذا ما كان هناك قطماروس قد وجـد بشـكله الحالى قبل القرن السابع الميلادى على أى الأحوال يمكن القول أنه ما بين القرن السابع والعاشر قد أكتملت عدة كتب بأشكال متنوعة للقطماروس. ولعل أول عملية ترتيب موحد للقراءات الكنسية على مستوى الكنيسة ككل قد تمت فى عهد البابا غبريال الثانى بن تريك البطريرك السبعين ونقل عنها الأنبا بطرس أسقف البهنسا بشكل خاص قطماروس البصخة وذلك فى القرن الرابع عشر وهو المستعمل بصورته الحالية فى الكنيسة. هذا وجرت العادة منذ القديم وللآن أن تقرأ الأناجيل: متى، مرقس، لوقا فى أيام أثنين وثلاثاء وأربعاء البصخة. ولكن انتهى الآن طقـس قـراءة سـفر الخروج بكامله يوم سبت الفرح. وقد أستبدل بالتسابيح الخلاصية المدونة فى العهدين، بالإضافة إلى قـراءة سـفر الرؤيا بكامله ليلة أبوغلمسيس وقراءة إنجيل يوحنا والذى يعلن حقيقة ألوهية كلمة الله المتجسد ليلة عيـد الفصـح المجيد.

ملاحظات على القراءات الكنيسة فى حالة توافق أكثر من مناسبة :

١- قراءات الأعياد السيدية إن جاءت يوم الأحد لها أولوية على قراءات الأحد.

٢- لا يحتفل بعيد البشارة متى جاء فى المدة من جمعة ختام الصوم وحتى ثانى أيام عيد القيامة لأن هـذه فتـرة تذكارات فصح الصوم والآلام والقيامة ولها الأفضلية لأن البشارة لا قيمة لها دون آلام وفصح وقيامة الرب.

٣- تقرأ فصول النيروز إذا جاء يوم الأحد وترحل باقى الآحاد على أن تقرأ يوم الأحد الثانى من توت قراءة الأحد الأول وهكذا لآخر الشهر فتقرأ فصول الأحد الرابع فى نفس يوم الأحد الخامس.

٤- إن جاء برمون الميلاد يوم الأحد الرابع من كيهك، فيكون الأحد الأخير من هاتور هو الأحد الأول من كيهـك على أن يصلى الأحد الرابع من كيهك بطقس البرامون وهكذا تكتمل آحاد كيهك.

٥- من ٢٩ برمهات و حتى ٢٩ كيهك يصلى دائماً بلحن الفرح تذكاراً للبشارة والميلاد والقيامة، يتبع ذلـك أن تكون القراءات قراءات يوم ٢٩ برمهات فى كل الأحوال. لأن المناسبة الكنسية تستمد وجودها وموضوعها من كلمة الإنجيل. إذ لا يوافق أن نردد ألحان البشارة والميلاد والقيامة ونقرأ الفصول الخاصة بقديس أو شـهيد اليـوم "لأن الخبر بكلمـة الإيمـان" أما عن القراءات الخاصة بقديس اليوم فغالباً ما تكون مرحلة لأيام أخرى كما أن شهيد وقـديس اليوم يحتفل بهما بالسنكسار وببعض الألحان والمردات الخاصة بهما.

ولنا فى ذلك نموذج، إذ أن قراءات الصوم المقدس والخماسين لها أسبقية على قراءات اليوم نفسه سـواء كـان الصوم مبكراً أو جاء متأخراً. بشكل عام يمكن القول أن القراءة دائماً للمناسبة الأهم.

٦- إذا جاء الشهر القبطى خمسة أسابيع فالأحد الخامس فى الشهور القبطية الست الأولى يقرأ فيه فصـول البركة التى تقرأ فى الأحد الثانى من أمشير وفى الشهر الثانية تقرأ فصول الأحد الخامس بالقطمارس.

٧- **وختاما** : ولندرك أهمية وقيمة قداس الموعوظين أو قداس الكلمة، إذ نقرأ ونسمع كلمة الإنجيل نورد رائعة العلامة أوريجينوس إذ يقول: ***"فى قداس الموعوظين تتم خطبة النفس للرب. أما فى قداس المؤمنين، فيتم زواج الرب وإتحاده بالنفس".***



٥

الافخارستيا سر الكنيسة

نيافة الأنبا رافائيل

الكنيسة هى مجال عمل السيد المسيح الخلاص...

الخلاص الذى تممه السيد المسيح لنا على الصليب، يقدمه لنا بنفسه كل يوم من خلال الكنيسة فالكنيسة هى استمرار وامتداد عمل السيد المسيح النبوى (بالتعليم) والكهنوتى (بالخلاص) والملوكى (بميراث ملكوت السموات).

والكنيسة هى مكان حضور واستعلان السيد المسيح فينا "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم" (مت ١٨: ٢٠).

ولذلك تهتف الكنيسة بكل فرح - عند إجتماعها - "عمانوئيل إلهنا فى وسطنا الآن... يمجد أبيه والروح القدس".

فمن يقبل إلى الكنيسة... هناك يرى السيد المسيح ويتحد به ويتكلم معه فالكنيسة هى عروس السيد المسيح وهى جسده المقدس...

السيد المسيح للكنيسة الرأس للجسد "المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد" (أف ٥: ٢٣)، "وهو رأس الجسد - الكنيسة - الذى هو البداءة" (كو ١: ١٨).

وجسد السيد المسيح يستعلن بكل وضوح فى سر الأفخارستيا.

"كأس البركة التى نباركها، أليست هى شركة دم المسيح؟، الخبز الذى نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟" (١كو ١٠: ١٦).

ومن هنا كانت الرابطة القوية بين الكنيسة والأفخارستيا.. فكلاهما هى جسد السيد المسيح.. الكنيسة جسد المسيح الذى ننتمى إليه كأعضاء... والأفخارستيا جسد السيد المسيح الذى نأكله فنحيا كأعضاء "فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد" (١كو ١٠: ١٧).

الكنيسة والأفخارستيا :

الكنيسة وجدت خلال سر الأفخارستيا ونالت كيانها وحقيقتها خلال هذا السر المقدس...

وأيضاً الأفخارستيا هى ذبيحة الكنيسة.. فمتى اجتمع المؤمنون... كان إجتماعهم لكسر الخبز (التناول من جسد الرب ودمه)، فنسمع عن الكنيسة الأولى: "كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (أع ٢: ٤٢).

"كانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة (صلاة المزامير)، وإذ هم يكسرون الخبز (الأفخارستيا) فى البيوت، كانوا يتناولون الطعام (الأغابى) بابتهاج وبساطة قلب" (أع ٢:٤٦)، "وفى أول الأسبوع، إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً" (أع ٢٠:٧).

والسيد المسيح نفسه هو الذى يقدم ذبيحته بيده فى كنيسته كل يوم، إذ هو الكاهن والذبيحة وهو الله الذى يقبل الذبيحة...

"هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا" التسبحة السنوية وهو مازال مستمراً وعاملاً فى الكنيسة بذبيحته..

ليس أن الأفخارستيا تكراراً لصليب السيد المسيح بل استمراراً له وامتداد لمفعوله.

والكنيسة إذ ترى عريسها المحبوب يقدم ذاته عنها على المذبح فى كل يوم... تتشجع وتقدم حياتها للرب بالتسبيح والنسك والخدمة وأيضاً بالاستشهاد إننا نستمد القوة على الاستشهاد من ذبيحة الأفخارستيا.

إذ "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (١يو ٤:١٩).

حياة السيد المسيح مصلوبة برهان حبه لنا إذ "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣:١٦).

وحياتنا نحن مصلوبة معه برهان حبنا له...

هذا الصليب الذى تحمله الكنيسة كل يوم وتتبع السيد المسيح... يتجلى فى ذبيحة الأفخارستيا فندخل إلى المذبح، عند الجلجثة ونرتفع معه إلى السموات... نقدم له... التوبة بانكسار القلب، ونقدم له طهارة الجسد، والنفس والروح، ونقدم له جسداً مصلوباً بالصوم الانقطاعى، حسابين فى أنفسنا أننا نمات من أجله كل النهار...

وكذلك تدخل الكنيسة إلى المذبح حاملة معها ذبيحة بسيطة (من خبز وخمر وماء) تقدمها برهان الشكر وقبول نعمة الله فى حياتنا... وبرهان الحب والإعتراف بأن الله هو صاحب هذه العطايا "نقرب لك قرابينك من الذى لك".

وتتيقن الكنيسة أنها لم تقدم بعد شيئاً يذكر... فما هو صومى؟ وما قيمة تعبى؟.. وكيف أتكلم عن طهارة الجسد أو عن تعب جهادى؟

لذلك لا تشبع الكنيسة إلا بتقدمه عريسها السماوى على المذبح المقدس الإلهى ليس لدينا ما نقدمه غير السيد المسيح نفسه، الذى هو حياة العالم..

على المذبح تدرك الكنيسة أنها جسد السيد المسيح المذبوح، ونحن أعضاؤه حاملى سمات آلام.. فالمعمودية والميرون جعلنا له أعضاء.. وبتناول جسده ودمه المبذولين.. ننمو يوماً فيوماً إلى قياس قامة ملء السيد المسيح..

الكنيسة الواحدة :

جسد السيد المسيح جسد واحد.. يقوم فى كل مكان ولكنه جسد واحد.. ويقوم فى كل يوم ولكنه جسد واحد..

هكذا ندرك أن الكنيسة واحدة جامعة... فكل المذابح فى العالم هى مذبح واحد.. وكل الكنائس فى العـالم كنيسـة واحدة (من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها).. وكل الكهنة فى العالم يمثلون كاهناً واحداً هو ربنا يسوع المسـيح.. الـذى يقدم جسده بيده فى كل قداس فى كل مكان وفى كل زمان ومع كل الناس.

هذا هو استعلان سر إتحادنا بعضنا مع بعض فى المسيح يسوع..

كيف أن خبزه واحدة تجمع مئات حبات القمح فى وحدة واحدة..

فالله فى سر الأفخارستيا يجمع الكنيسة إلى واحد "أجعلنا كلنا مستحقين يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهـارة لأنفسـنا وأجسادنا وأرواحنا؛ لكى نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً، ونجد نصيباً وميراثاً مـع جميـع القديسـين الـذين أرضـوك منـذ البـدء" (القداس الباسيلى).

"فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد" (١كو ١٠:١٧)، "هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض، كل واحد للآخر" (رو ١٢:٥).

"لأنه كما أن الجسد هو واحد، وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هى جسد واحد كذلك المسيح أيضاً" (١كو ١٢:١٢).



٦
التسبحة والألحان فى كنيستنا القبطية

د. سامح حلمى

تؤلف التسابيح والألحان الكنسية جزءاً هاماً فى العبادة المسيحية، وذلك منذ نشأة الكنيسة.

أولاً: أهمية التسبيح :

يقول المرتل : طوبى للشعب الذى يعرف التسبيح يارب بنور وجهك يسلكون، باسمك طول النهار يبتهجون وببرك وعدلك يرتفعون (مز ١٥:٨٩،١٦).

والواقع أن الخليقة كلها تشترك فى التسبيح لله إذ يقول المرنم :

- تسبحه السموات والأرض والبحار وكل ما يدب فيها (مز ٣٤:٦٩).
- السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه (مز ١:١٩).

ويقول داود النبى عن الله :

أنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل (مز ٣:٢٢).

وفى التسبيح نحن نجد عناصر التهليل والشكر والفرح والتمجيد لله والإعتراف بعمله.

ثانياً: التسبيح هو عمل الملائكة :

✝ لقد رأى إشعياء النبى السيد الرب جالساً على العرش ومن حوله الساروفيم ينشدون: قدوس قـدوس قـدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض (أش ٣:٦).

✝ وداود النبى يقول: سبحوه يا جميع ملائكته سبحوه يا كل الجنود (مز ٢:١٤٨).

✝ وحينما ظهرت الملائكة وقت ميلاد السيد المسيح كانوا يسبحون الله قائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة (لو ١٣:٢،١٤).

✝ ويوحنا الرائى سمع فى رؤياه الأربعة حيوانات غير المتجسدين تسبح لـيلاً ونهـاراً قائلـة: "قـدوس قـدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شىء..." (رؤ ٨:٤).

وكذلك سمع الأربعة والعشرين قسيساً يترنمون قائلين: "أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ الكرامة والقدرة" (رؤ ١١:٤).

وكذلك سمع أصوات ملائكة كثيرين يسبحون قائلين: "مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة" (رؤ ٥:١٢).

وكذلك سمع كل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل ما فيها سمعها تقول للجالس على العرش والخروف: "البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين وكانت الحيوانات الأربعة ترد قائلة آمين" (رؤ ٧:١٢).

لذلك كله فإن الإنسان حين يسبح الله فإنما يشترك مع الملائكة فى ذلك العمل العظيم.

ثالثاً: التسابيح والألحان فى العهد القديم :

عرفت كنيسة العهد القديم التسبيح ومارست الألحان الروحية وإليك بعض الشواهد على ذلك: حين عبر موسى البحر الأحمر ومعه كل الشعب نظم تسبحة للرب وترنموا بها معاً (خر ١٥).

ووضع داود النبى مزاميره ونظم ترنيمها وعين عدداً عظيماً قدره أربعة آلاف رجل لأجل الترنيم بالآلات الموسيقية فى بيت الرب (١أخ ١:٢٥،٢٣:٥-٥).

ولما أصعد داود تابوت الرب من قرية يعاريم لأورشليم أصعده بالأغانى والترانيم الروحية (١أخ ٨:٣).

ولما ملك سليمان الحكيم رنم المرنمون تسابيح روحية فى بيت الرب (٢أخ ١١:٥).

وفى أيام حزقيا الملك ونحميا وعزرا كان بنوا إسرائيل وكهنتهم يستعملون فى العبادة ترانيم داود بواسطة آلات داود (٢أخ ٢٥:٢٩-٣٠، ٢أخ ١٥،٨:١٤).

ويخبرنا سفر دانيال عن الثلاثة فتية الذين أنقذهم الله من آتون النار كيف أنهم سبحوا الله تسبحة ممتلئة بالحمد والشكر (تتمة سفر دانيال ٥٢:٣-٩٥).

وسفر المزامير هو سفر التسبيح لله وهو غنى بالدعوة إلى التسبيح إذ جاء فيه:

- لك ينبغى التسبيح يا الله فى صهيون (الكنيسة) (مز ١:٦٥،٢).
- سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك (مز ١٦٤:١١٩).
- سبحوا الرب يا جميع الأمم ولتباركه كافة الشعوب (مز ١:١١٦).
- يارب أفتح شفتاى فيخبر فمى بتسبيحك (مز ١٥:٥١).
- سبحى يا نفسى الرب أسبح الرب فى حياتى وأرتل لإلهى مادمت حياً (مز ١:١٤٦،٢).
- ويختتم السفر كله بقوله: كل نسمة فلتسبح الرب (مز ٥:١٥٠).

رابعاً: التسابيح والألحان فى العهد الجديد :

لقد مارس الرب يسوع نفسه التسبيح مع تلاميذه إذ أنه بعد أن عمل معهم العشاء السرى يذكر الوحى المقدس: أنهم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون (مت ٢٦:٣٠، مر ٢٦:١٤).

وعقب نشأة الكنيسة فى يوم الخمسين كان التسبيح جزءاً هاماً من العبادة وإليك بعض الشواهد: يذكر سفر الأعمال عن المؤمنين أنهم: "كانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله" (أع ٢:٤٧،٤٦).

لقد كان عمل الكنيسة الأولى هو الشكر والتسبيح الدائم لله والفرح الحقيقى لأن المسيح قد أكمل كل شىء من جهة خلاصنا، فكان مظهر الكنيسة تسبيحاً دائماً وبساطة قلب وابتهاج وكان هذا فى حد ذاته من أقوى وسائل الكرازة المسيحية فكانت الجماعات تنضم إليها لتدخل هذا المجال المفرح.

ومقعد باب الهيكل الجميل بعد أن شفاه بطرس كان يمشى بابتهاج ويطفر ويسبح الله (أع ٣:٨).

وبولس وسيلا فى سجن فيلبى كانا نحو نصف الليل يصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما (أع ١٦:٢٥).

وجاء فى رسائل العهد الجديد الكثير من الوصايا التى تدعو إلى حياة التسبيح والترتيل وإليك بعضها: أمسرور أحد فليرتل (يو ٥:١٣)، مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب (أف ٥:١٩).

لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين فى قلوبكم للرب (كو ٣:١٦).

فلنقدم به (بالمسيح) فى كل حين للرب ذبيحة التسبيح أى ثمر شفاه معترفة باسمه (عب ١٣:١٥).

أخبر باسمك أخوتى وفى وسط الكنيسة أسبحك (عب ٢:١٢).

وجاء فى **سفر الرؤيا** : وخرج من العرش صوت قائلاً: سبحوا لألهنا يا جميع عبيده الخائفين الصغار والكبار (رؤ ١٩:٥).

زمن وضع الألحان والتسابيح الكنسية :

لدينا من المخطوطات التاريخية وأقوال الآباء الأولين ما يؤكد على أن وضع الألحان والتسابيح فى الكنيسة كان من القرون الأولى للمسيحية... صحيح أنه ربما لم يكن بالنظام الحالى ولكن الألحان والتسبحة كانت معروفة منذ نشأة المسيحية وإليك بعض الأدلة الدالة على ذلك: ✝

جاء فى مخطوطة ترجع للقرن الأول الميلادى لبلنيوس الوالى - وهى عبارة عن رسالة بعث بها إلى أحد الملوك بكلمة عن المسيحيين: "ومن عادة المسيحيين أن يجتمعوا فى يوم معلوم قبل الضحى ليرتلوا تسبيحاً للمسيح كما يكون لله[١]" صفحة ١٠٩٩.

✝ وذكر ترتليانوس (١٦٠-٢٢٠م) فى احتجاجه رقم ٣٩: "وتقرأ الكتب المقدسة ويتلى على الشعب مواعظ مختصرة عن الواجبات المسيحية ويرنم ترنيمات وأخيراً يمارس العشاء الربانى وولائم المحبة التى يقدمها الشعب[٢]".

✝ شهد القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة (٢٠٠-٢٥٨م) فى مؤلفه عن الصلاة بأن مسيحى الكنيسة الأولى كانوا يترنمون بالترانيم والتسابيح الروحية فى إجتماعاتهم الدينية وكان الشعب يجيبون بصوت جهورى[٣] محاضرة الألحان الكنسية (صفحة ٨-١٠).

✝ وجاء فى قوانين مجمع اللاذقية الإقليمى (٢٦٤م): لا يجوز أن يرتل فى الكنيسة إلا المرتلون القانونيون (الشمامسة) الذين يصعدون على المنبر ويرتلون بدفاترهم وكتبهم[٤].

✝ وقال القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩-٣٧٩م): إن العوائد المتملكة الآن فى جميع كنائس الله هى موافقة ومطابقة بعضها لبعض فإن الشعب عندنا يسير ليلاً إلى بيت الصلاة فيعترف لله بألم وضيقة قلب وإنسجام العبرات، ثم إنهم ينهضون من الصلاة وينتصبون للتراتيل فمرة ينقسمون إلى فرقتين ويرتلون على التناوب، ومرة يتركون واحداً يشرع بالترتيل والباقون يردفون بالتنغيم وهكذا يقضون الليل بتوزيع الترتيل وهم فى أثناء ذلك يصلون[٥].

✝ ويذكر التاريخ الكنسى أن القديس أثناسيوس الرسولى (٢٩٧-٣٧٣م) قد عدل فى طريقة الألحان وأدخل طريقة التسبيح باللحن المعتدل إذ أمر قراءة المزامير (الشمامسة) أن ينطقوا الكلمات بأقل ما يمكن من الهزات، بدون تغيير فى الطبقة حتى تسمع بوضوح[٦].

✝ وجاء فى رسالة إيرونيموس (٣٣١-٤٢٠م) إلى أهل غلاطية: ثم عين للتراتيل جماعة أطلق عليهم إسم خورس أى جوقة المرنمين[٧].

✝ ويخبرنا سقراط المؤرخ الكنسى (٣٧٩-٤٣٩م) أن القديس أغناطيوس الأنطاكى الذى أستشهد سنة ١٠٧م أمر المؤمنين أن يكونوا منهم جوقتين ليرتلوا أناشيد الثالوث الأقدس وقد نقلت ذلك عنه الكنائس جميعاً[٨].

---

(١) الكنيسة فى عصر الرسل - نيافة الأنبا يؤانس المتنيح.

(٢) ترتليانوس احتجاج ٣٩.

(٣) كبريانوس. الصلاة.

(٤) اللآلئ النفيسة، ج١، ب٢، ف٩.

(٥) رسالة ٢٠٧ إلى إكليروس قيصرية الجديدة.

(٦) اعترافات أوغسطينوس ك ١ :١٠:٣٧.

(٧) رسالة إيرونيموس لأهل غلاطية.

(٨) سقراط ك٦، ف٨.

✝ وتاريخ الكنيسة يشهد أن استعمال التسابيح والألحان فى العبادة كان منذ العصر الرسولى، فقد ذكر أوسابيوس المؤرخ أن المؤمنين كانوا يتلون صلوات معينة وهم وقوف على أقدامهم وراء أسقف أو قس - إذا لم يوجد أسقف - ثم يقرأون فصولاً من الكتب المقدسة... وبعد ذلك يرنم أشخاص معينون (الشمامسة) ترانيم مقدسة وقت العشاء السرى[٩].

سادساً: فوائد التسابيح والألحان الكنسية :

عامل كنسى هام لتوحيد الكنيسة كلها وإذابة الفوارق بين الفرد والجماعة. تنشط روح العبادة وتشعل الحرارة الروحية للمصلين.

لها قوة عجيبة فى تغيير الميول الرديئة إلى ميول حسنة ويكفى الدليل على ذلك تأثير ألحان أسبوع الآلام على الحاضرين.

المواظبة على الصلوات والتسابيح والألحان تدخلنا فى سيرة روحانية وهى قادرة على أن تغيرنا ولو قليلاً عن شكلنا العالمى إلى شكل جديد روحانى.

تقدس أفواهنا وعقولنا وأوقاتنا وتربطنا بالسمائيين والأبدية. كانت ومازالت إحدى الوسائل القوية فى نقل وتسليم العقائد المسيحية والأرثوذكسية عبر الأجيال.

✝ يلخص القديس باسيليوس فوائد الألحان والتسابيح الكنسية فى عبارات جميلة فيقول: إن الترانيم هى هدوء للنفس وواحة للروح وسلطان السلام الذى يُسكن الأمواج ويُسكت عواصف حركات قلوبنا.

✝ الترنيم يطرد الأرواح الشريرة ويجذب خدمة الملائكة وهو سلاح فى مخاوف الليل وراحة فى الأتعاب اليومية الشاقة وإنه للطفل حبيب ومحام وحارس، وللرجل إكليل مجد، وللشيوخ لسان تعزية، وللنساء زينة لائقة[١٠].

✝ يقول ذهبى الفم: لا شئ يعطى للنفس أجنحة وينزعها من الأرض ويخلصها من رباطات الجسد ويعلمها احتقار الأمور الزمنية مثل التسبيح بالنغمات الموزونة[١١].

سابعاً: طقس التسبحة فى الكنيسة :

١- طقس تسبحة عشية :

تقال قبل رفع بخور عشية وهى تتبع النظام الآتى :

- تبدأ بالبسملة والصلاة الربانية ثم صلاة الشكر ثم إرحمنى يا الله.
- ثم تصلى صلوات السواعى التى لم تصلى صباحاً فى القداس.

---

[٩] تاريخ الكنيسة لأوسابيوس القيصرى ك.ف.

[١٠] اللآلئ النفيسة ك١، ب٢، ف٨ القمص يوحنا سلامة.

[١١] القديس يوحنا ذهبى الفم.

- ثم يرتل لحن يا كل الأمم سبحوا الرب نى إثنوس تيرو (مز ١١٦).

- ثم يرتل الهوس الرابع وهو عبارة عن (مز ١٤٨،١٤٩،١٥٠).

- ثم يرتلون فى عشية الآحاد فقط إبصالية سنوى للسيدة العذراء آى سوتيم: إنى سمعت يا معلمى الكنيسة - آى سوتيم.

- ثم تقال إبصالية اليوم: ففى عشية الأحد تقال إبصالية اليوم السبت: أعطى فرحاً لنفوسنا... أفتى إمبؤنف انـين ابسيكى.

- ثم تقال تذاكية اليوم: ففى عشية الأحد تقال تذاكية يوم السبت: أيتها الغير دنسـة العفيفـة... تـى أتسـوليب انسيمين.

- ثم تقال الشيرات الأولى والثانية.

- ثم يقال السلام لك ونعظمك. - ثم يقرأ الدفنار.

- ثم يقال ختام الثيؤتوكيات.

- ختام الواطس: أيام الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت.

- يا ربنا يسوع المسيح حامل خطية العالم.. أوبنشويس إيسوس بخرستوس.

- ختام الآدام: أيام الأحد، الاثنين، الثلاثاء.

- مراحمك يا إلهى غير محصاة... نيك ناى أو بانوننى.

ثم تقال الصلاة الربانية... ثم يبدأ الكاهن فى صلاة عشية.

٢- طقس تسبحة نصف الليل :

تتبع تسبحة نصف الليل الترتيب الآتى :

- البسملة والصلاة الربانية ثم صلاة الشكر ثم إرحمنى يا الله ثم المزامير.

- قطعة تين ثينو: قوموا يا بنى النور لنسبح رب القوات..

- قطعة تين ناف (*مديح القيامة*) تقال فى الخمسين المقدسة وأيام الآحاد حتى نهاية شهر هاتور: ننظر إلى قيامة المسيح ونسجد للقدوس يسوع المسيح...

- الهوس الأول : وهو تسبحة موسى النبى وكل الشعب بعد عبورهم البحر الأحمر (خر ١:١٥-٢٧).

وبدايته "*حينئذ سبح موسى وبنو إسرائيل بهذه التسبحة للرب وقالوا...*".

وهذه التسبحة ترمز إلى تسبحة المفديين الذين أنقذهم الله من يد فرعون الروح أى إبليس.

يقول يوحنا الرائى: "ورأيت... الغالبين على الوحش... معهم قيثارات الله وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف قائلين:عظيمة وعجيبة هى أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شىء" (رؤ ١٥:٣،٢).

- لبش الهوس الأول وهو: "قطعاً انقطع ماء البحر والعمق العميق صار مسلكاً" خين أوشوت أفشوت.

ملحوظة : فى ليالى الآحاد يقال الهوس الثانى بعد لبش الهوس الأول مباشرة.

أما فى باقى أيام الأسبوع فيقال قبل الهوس الثانى :

- الإنجيل عن (لو ٢:٢٩-٣٢) الآن يا سيدى تطلق عبدك...

- ثم شيرى نى ماريا وسيموتى وشاشف إلى آخر آف موتى من تذاكية الأحد.

- الهوس الثانى وهو عبارة عن مزمور ١٣٥: وهو مزمور يفيض بالحمد والشكر لله اشكروا الرب لأنه صالح وخير وأن إلى الأبد رحمته - أوأونه إيفول إمبشويس.

تتكرر عبارة لأن إلى الأبد رحمته ٢٨ مرة فى هذا المزمور.

- ثم يقال لبش الهوس الثانى: "فلنشكر المسيح إلهنا... مارين أوأونه إيفول...".

- ثم الهوس الثالث : وهو تسبحة الثلاثة فتية فى الأتون وجاءت فى (تتمة دا ٣:٥٢-٩٠) وبدايته: "مبارك أنت أيها الرب إله آبائنا ومتزايد بركة... إكزماروؤت إبشويس فنوتى...".

هذا الهوس هو تسبيح لله من جميع خلائقه: "باركى الرب أيتها السموات... يا جميع ملائكة الرب... يا جميع المياه... يا جميع قوات الرب... أيتها الشمس والقمر... يا سائر النجوم السماء... أيتها الأمطار...".

- ثم إبصالية الهوس الثالث وهى مديح واطس للثلاثة فتية القديسين وبدايتها: "رتلوا للذى صلب عنا وقبر وأبطل الموت وأهانه سبحوه وزيدوه علوا... أريبسالين أفى ايتاف أشف...".

هذه المديحة هى مديحة يونانية قبطية مرتبة على حروف الأبجدية اليونانية.

هذه التنسبحة التى تذكرنا بعمل الله مع الثلاثة فتية هى مشجعة لنا نحن الذين نجاهد فى هذا العالم.

- ثم مديح للثلاثة فتية القديسين وبدايته: "تتبعك بكل قلوبنا ونخافك... تين أووه انسوك...".

وهذا المديح هو جزء من "صلاة عزاريا التى صلاها بمفرده وهو مع حنانيا وميصائيل فى وسط الأتون" (تتمة دا ٣:٢٤-٤٥).

- ثم مجمع العذراء والملائكة والرسل والشهداء والقديسين وبدايته: "اشفعى فينا يا سيدتنا كلنا... أرى ابريسفافين إإهرى ايجون...".

مجمع القديسين يؤكد على وحدة الكنيسة الواحدة وشركة السمائيين والأرضيين ويمتاز مجمع التسبحة بأنه يضم عدداً كبيراً من القديسين أكثر مما يذكر فى مجمع القداس إذ أنه يحتوى على:

- ثم الذكصولوجيات وهى تماجيد خاصة بالأعياد والعذراء والملائكة والقديسين.

- وتبدأ فى الأيام السنوية بذكصولوجية العذراء: "عظمتك يا مريم العذراء الغير دنسة... تى ميت نيشتى...".

- وتبدأ فى الأعياد السيدية والصوم الكبير بذكصولوجية العيد ثم ذكصولوجية العذراء.

- ثم يرتل الهوس الرابع وهو عبارة عن (مز ١٤٨،١٤٩،١٥٠) وهى مزامير ممتلئة بالتسبيح: "سبحوا الرب من السموات الليلويا سبحوه فى الأعالى..." (مز ١٤٨).

- "انشدوا للرب نشيداً جديداً الليلويا لأن تسبحته فى بيعة القديسين" (مز ١٤٩).

- "سبحوا الله فى جميع قديسيه الليلويا سبحوه فى جلد قوته" (مز ١٥٠).

- ثم تسبحة الأيام وهى تتكون من إبصالية وثيؤتوكية لكل يوم من أيام الأسبوع: وإذا كان اليوم موافقا عيداً تقال إبصالية العيد أولاً ثم إبصالية اليوم ثم ثيؤتوكية اليوم:

❀ **إبصالية الأحد :** آمنت لذلك تكلمت... ايناهتى إثفين فاى... طلبتك من عمق قلبى يارب يسوع أغنى... ايكوتى انسوك...

❀ **ثيؤتوكية الأحد :** مدعوة صديقة أيتها المباركة فى النساء القبة الثانية.. سيموتى ايرو ذيكيئوس أو اثبت...

❀ **ثم يقرأ الإنجيل :** "الآن يا سيدى تطلق عبدك بسلام..." (لو ٢: ٢٩-٣٢).

ثم تقال هذه القطع بلحنها المعروفة :

✝ السلام لك يا مريم الحمامة الحسنة: شيرى نى ماريا تى اتشرومبى اثناسوس.

✝ مدعوة أنت بالحقيقة أيتها القديسة مريم: سيموتى ايرو ذيكيئوس أوتى اثؤواب.

✝ سبع مرات كل يوم من كل قلبى: شاشف انسوب امينى.

✝ دُعيت يامريم العذراء الزهرة المقدسة: آف موتى ايرو ماريا.

ملحوظة : هذه القطع تقال بعد لبش الهوس الأول فى باقى أيام الأسبوع (عدا يوم الأحد فقط).

- ثم يستكمل باقى القطع ثم ثيؤتوكية الأحد: أنت مستحقة أكثر من جميع القديسين: توى انهيكانوس ايهوت...

- كل الأسماء العالية التى لغير المتجسدين: ران نيفين اينشوسى...

- ثم تقال قطعة من فى الآلهة يشبهك يارب: نيم غار خين نينوتى...

- ثم يُقرأ الدفنار الخاص باليوم أو الطرح فى الخمسين المقدسة وكيهك.

- ثم يُقال ختام التيؤتوكيات.

أيام الآحاد : مراحمك يا إلهى غير محصاة: نيك ناى أوبانوتى.

أيام الواطس : يا ربنا يسوع المسيح حامل خطية العالم: أوبنشويس إيسوس بى إخرستوس.

- ثم نعظمك يا أم النور الحقيقى - بالحقيقة نؤمن بإله واحد.

- ثم يا الله ارحمنا : افنوتى ناى نان ثم قدوس قدوس ثم تحليل صلاة نصف الليل.

- ثم ارحمنا يا الله ثم ارحمنا. وأبانا الذى فى السموات.

٣- طقس تسبحة باكر :

- تبدأ بالبسملة ثم الصلاة الربانية ثم صلاة الشكر.
- ثم ذكصولوجية باكر: وهى تقال دائماً (آدام) لأن باكر يشير إلى قيامة الرب يسوع التى تمت فجر الأحد.
- نسجد للآب والإبن والروح القدس: تين أوأوشت إمفيوت نيم إبشيرى.
- ثم ذكصولوجيات باكر لأجل العذراء والملائكة والرسل والشهداء والقديسين والأباء والأنبياء.
- ثم ختام الثيؤتوكيات الآدام : مراحمك يا إلهى.. نيك ناى أو بانوننتى.
- ثم تُقال نعظمك يا أم النور الحقيقى ثم بالحقيقة نؤمن.
- ثم يُقال الطلبة يا الله ارحمنا... إفنوتى ناى نان.
- ثم يقولون إرحمنى يا الله كعظيم رحمتك.
- ثم هلم نسجد هلم نسأل المسيح إلهنا.
- ثم نستكمل صلاة باكر كالمعتاد.
- ثم يبدأ الكاهن فى طقس رفع بخور باكر.

ثامناً: طقوس الألحان الكنسية :

نوع اللحن	الاستخدام
اللحن الكيهكى	خلال شهر كيهك حتى يوم برامون الميلاد.
اللحن الفرايحى	- الأعياد السيدية الكبرى والصغرى (ماعدا خميس العهد فله طقس خاص). - الخماسين المقدسة. - من النيروز وحتى عيد الصليب (من أول توت وحتى ١٦توت). - من عيد الميلاد إلى الختان من ٢٩كيهك وحتى ٦طوبة. - من عيد الغطاس إلى عيد عرس قانا الجليل (من ١١طوبة حتى ١٣طوبة).

نوع اللحن	الاستخدام
	- التذكار الشهرى لأعياد البشارة والميلاد والقيامة (فى ٢٩من كل شهر قبطى). ماعدا شهرى طوبة وأمشير اللذين كانا قبل الحبل المقدس.
اللحن الصيامى	- الصوم الأربعينى المقدس. - صوم نينوى.
اللحن الشعانينى	- يوم أحد الشعانين. - فى عيدى الصليب ١٠برمهات، ٧ توت حتى ١٩ توت. - فى ختام تماجيد القديسين وفى الأكاليل.
اللحن الحزاينى	- أسبوع الآلام. - تجنيز الأموات (عدا الخماسين والأعياد السيدية وأيام الآحاد).
اللحن السنوى	- يصلى به بقية الأيام خلاف السابق ذكرها.

ملاحظات على الألحان الكنسية :

تقال فى المردات :

- ولدت : من برامون الميلاد إلى عيد الختان.
- اعتمدت : من برامون الغطاس إلى ثانى يوم الغطاس.
- صلبت : فى عيدى الصليب ١٧ توت، ١٠ برمهات أسبوع الآلام، فى الصلاة على الراقدين غير أيـام الآحـاد وكافة أيام الفرح.
- قمت : من ليلة عيد القيامة إلى آخر الخماسين، فى أيام الآحاد من صوم الرسل إلى الأحد الأخير من هاتور.
- أتيت : فى الأيام السنوية غير ما سبق ذكره من مناسبات فى الصيامات.

الثلاث تقديسات :

- يا من ولدت من العذراء (ثلاث مرات) فى ليلة عيد الميلاد حتى الختان.
- يا من اعتمد فى الأردن (ثلاث مرات) فى الغطاس ١١،١٢ طوبة.
- يا من صُلب عنا (ثلاث مرات) من يوم خميس العهد إلى سبت الفرح.
- يا من قام من بين الأموات (ثلاث مرات) من يوم عيد القيامة إلى التاسع والثلاثين فى الخمسين المقدسة.
- يا من قام من الأموات وصعد إلى السموات (ثلاث مرات) من عيد الصعود إلى عيد العنصرة.
- الذى ولد من العذراء - الذى صلب عنا - الذى قام من الأموات وصعد إلى السموات: فى بقية أيام السنة.



٧

المسيح فى الأعياد السيدية
أ- أعياد التجسد الإلهى

نيافة الأنبا رافائيل

الكنيسة على الأرض هى عروس المسيح المتغربة "غريب أنا فى الأرض" (مز ١١٩:١٩)، **وهى سفارة السماء فى الأرض** "إذا نسعى كسفراء عن المسيح" (٢كو ٥:٢٠).. **جاءت هنا لتقدس الزمان وتمسحه بمسحة أبدية، ولتقدس الأرض وتعطيها نكهة سمائية** "حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه" (١تس ٥:١٠).

"فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شئ لمجد الله" (١كو ١٠:٣١).

وفيما تقدس الكنيسة الزمان، فإنها تستحضر المسيح، بكل أفعاله، وحياته؛ لنعيشها أو ليعيش هو بها فينا.. والمحور اليومى لتقديس الزمان هو الأجبية والقداس والتسبحة.. أما المحور السنوى لاستحضار حياة المسيح فينا فهو الأعياد والمناسبات.

وهذا المحور السنوى ينقسم إلى قسمين :

أ- محور التجسد الإلهى ومركزه عيد الميلاد.

ب- محور الفصح الإلهى ومركزه عيد القيامة.

التجسد الإلهى :

أعياد التجسد الإلهى هى :

١- عيد البشارة ٢٩ برمهات / ٧ أبريل.

٢- عيد الميلاد ٢٩ كيهك / ٧ يناير.

(لاحظ المسافة الزمانية بينهما هى ٩ شهور بالتمام وهى فترة الحمل الإلهى).

٣- عيد قتل أطفال بيت لحم ٣ طوبى / ١١ يناير.

٤- عيد الختان ٦ طوبى / ١٤ يناير (أسبوع بعد الميلاد).

٥- عيد الغطاس ١١ طوبى / ١٩ يناير.

٦- عيد عرس قانا الجليل ١٣ طوبى / ٢١ يناير.

٧- عيد دخول المسيح الهيكل ٨ أمشير/١٥ فبراير (٤٠ يوم بعد الميلاد).

هذه الأعياد السبعة يمكن تلخيص قيمتها اللاهوتية وأهميتها لحياتنا فى جملة صغيرة تستخدمها الكنيسة فى التسبحة اليومية وهى "*هو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له*" (ثيؤطوكية الجمعة).

دعنا الآن نرى ماذا أخذ وماذا أعطانا فى كل عيد من هذه الأعياد :

١- عيد البشارة المجيد :

فى البشارة تم التجسد لذلك فمرد إنجيل عيد البشارة هو "*يسوع المسيح إبن الله تجسد من العذراء*" والتجسد ببساطة يعنى إتحاد اللاهوت بالناسوت.

اللاهوت هو الطبيعة الإلهية والناسوت هو الطبيعة الإنسانية.. وواضح طبعاً أن قبل التجسد لم يكن لله طبيعة إنسانية ولا جسد إنسانى... فهذا ما أخذه فى التجسد، إنه أخذ الذى لنا أى (*الطبيعة الإنسانية*)... أخذ جسم بشريتنا "قد صالحكم الآن، فى جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين" (كو ١:٢٢).

وفى المقابل أعطانا لاهوته.. أعطانا أن نكون "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط ١:٤).

لاحظ هنا أن التعبير (*أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له*) لا يعنى إطلاقاً تبادل المواقع، أى صار هو إنساناً، وصرنا نحن آلهة.. إنما ما حدث هو التشارك، لقد شاركنا فى بشريتنا لنشاركه طبيعته الإلهية.. أى نشاركه حياته الإلهية وقداسته وبره وسلطانه ومجده "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى، كما غلبت أنا أيضاً، وجلست مع أبى فى عرشه" (رؤ ٣:٢١)، لقد سبق واتحد ببشريتنا لكى نتحد به (*فى التناول من جسده ودمه*).

٢- عيد الميلاد المجيد :

ما استجد فى التدبير الإلهى هو أن المسيح ولد من العذراء.. ومعروف (فى قانون الإيمان) أن المسيح "مولود من الآب قبل كل الدهور، مولود غير مخلوق".. أى أنه إبن الآب.. إبن الله منذ الأزل.. إذن فماذا استجد فى عيد الميلاد؟.. ما حدث هو أن إبن الله صار إبن الإنسان بالحقيقة.. فهو أخذ بنوتنا لآدم بميلاده من العذراء.. وفى المقابل ماذا نتوقع أن يعطينا إلا بنوته لله؟! لقد صار إبن إنسان لنصير نحن به أبناء الله، وينطبق علينا القول الإلهى "الذين ولدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو ١:١٣).

لقد شاركنا فى بنوتنا لآدم لكى نشاركه بنوته للآب... هو إبن للآب بالحقيقة والطبيعة، ونحن أبناء الآب بالنعمة وبالتبنى، ونحن أبناء أدم بالطبيعة، وهو صار إبن آدم بالتجسد.

٣- عيد قتل أطفال بيت لحم :

أنها مجزرة رهيبة، ومذبحة بشرية عنيفة، استقبل بها الناس مولد المسيح، وكأن البشرية تعلن فى يأس واحتضار: أن هذه هى إمكانياتها "*الموت*"، أما المسيح فقد جاء ليغلب هذا "*الموت*" ويعطينا "*الحياة*" بموته عنا لذلك فهو أخذ الموت (*الذى لنا*) وأعطانا الحياة (*التى له*).

٤- عيد الختان :

فى الختان والأعياد المناظرة، توجه الكنيسة أنظارنا إلى أن المسيح قصد أن يتمم كل بر الناموس مـن أجلنـا.. لماذا؟.. إذ كانت البشرية عاجزة عن أن تتبرر بتنفيذ الناموس، جاء المسيح ليتمم عنا هذا الناموس الثقيل.. وهـذا التتميم لم يكن المسيح محتاجاً إليه، إنما نحن - البشرية - كنا محتاجين.. لذلك تممه المسيح عنا، ولحسابنا، فصار كل بر المسيح مخزوناً فى الكنيسة لصالح المؤمنين.. كل من يريد أن يتبرر اليوم، فليدنو ليغترف من بـر المسـيح بغنى وسخاء.. ذلك البر المعلن فى الإفخارستيا والمعمودية والليتورجيا.. لقد ناب المسيح عنا فى حمـل النـاموس، ليعطينا من بره المجانى، بالإيمان بدمه المسفوك على الصليب، والمعطى فى الإفخارستيا. إذاً ففى عيد الختان أخـذ المسيح بر الناموس ليعطينا بر الإيمان، وهذا ما تعبر عنه الكنيسة فى القداس الغريغورى "أكملت ناموسك عنى".

٥- عيد الغطاس :

فى عيد الغطاس شقان :

أ- **تتميم البر** : وهذا ما تحدثنا عنه فى عيد الختان.. فالمسيح لم يكن محتاجاً للمعمودية بشهادة يوحنا نفسه "أنـا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتى إلىّ" (مـت ٣:١٤)، ولكنه اعتمد للتوبة من أجلنا.. من أجل توبتنا نحن، ليعطى توبتنـا حافزاً وتشجيعاً، بل أيضاً قوة وقبولاً.. فكل من يتوب اليوم، إنما يغترف بغنى وسخاء من معمودية المسيح، فتصـير توبته ذات معنى وقبول وقيمة، ولولا معمودية المسيح ما كان لتوبتنا ومعموديتنا معنى أو قيمة أو قبـول أمـام الله الآب. فالمسيح فى المعمودية أخذ بر العماد؛ ليعطينا بره بالإيمان بدمه.

ب- **ما حدث عند صعود السيد المسيح من الماء :**

❀ "السماء قد انفتحت له" (مت ٣:١٦) لم يكن المسيح محتاجاً لانفتاح السماء أمامه - فهو رب السماء والأرض - لكننا نحن المحتاجون ففى الحقيقة أن السماء لم تنفتح أمامنا منذ آدم، وها قد انفتحت للبشرية اليوم فى المسـيح.. ولعل المسيح قصد أن يرينا انفتاح السماء الآن ليربطها بمعموديتنا. لقد فتح السماء بصليبه وقيامته، ولكنها تُفتح لنا فردياً بالمعمودية حيث ندفن ونقوم معه.

❀ "الروح القدس الذى نزل واستقر عليه" (يـو ١: ٣٢-٣٣) أن الروح القدس هو روح المسيح.. ومتحد به منذ الأزل وإلى الأبد، ولا يمكن تخيل أن المسيح منفصل عن الروح القدس أو الآب، بل هم فى وحدة كاملة.. فلماذا حل عليـه الروح القدس؟ إنه بكل تأكيد كان من أجلنا.. لقد فتح المسيح الطريق أمامنا؛ لنتقبل الروح القدس.. عندما قبل الروح فى الأردن سجل للبشرية سبقاً يحتذى به، ومبادرة نطالب بالمعاملة بمثلها.. لقد كانت العلة التى توجب حلول الروح القدس، أن الذى فى الماء هو الإبن.. لذلك فكل من يريد أن يقبل الروح القدس، يجب أن يكون إبناً أولاً (بالمعموديـة) "ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم" (غل ٤:٦).

❀ فى عيد الغطاس أخذ الله بشريتنا وأعطانا روحه القدوس.

❁ صوت الآب "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت ٣:١٧) أيضاً لم يكن المسيح بحاجة إلى هذا الإعلان؛ إذ هو الإبن الوحيد الحبيب، موضع سرور الأب منذ الأزل وإلى الأبد.. ولكننا سمعنا هذا الصوت الإلهى فى المسيح.. لم يكن له، بل لنا.. البشرية صارت فى المسيح "الإبن الحبيب الذى به سررت"، أن كل طفل يخرج من مـاء المعمودية يحدث معه هذا: السماء تنفتح له، والروح القدس يسكن فيه (بالميرون)، والآب يشهد له أنه إبن حبيب وموضع سروره.

٦- عيد عرس قانا الجليل :

ما حدث فى قانا الجليل هو تحويل الماء إلى خمر، بقوة لاهوت المسيح وبكلمته الخالقة لكن دعنا نتعمق الأحداث:

أ- كانت هناك ست أجران (للماء) حسب تطهير اليهود.. ولكن ماء اليهود لا يطهر إلا نظافة الجسد فقط.. فأراد المسيح أن يعطينا مادة جديدة للتطهير، وهى دمه الإلهى (فى صورة خمر جيد) يطهر أعماق النفس "ودم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية" (١يو ٧:١).

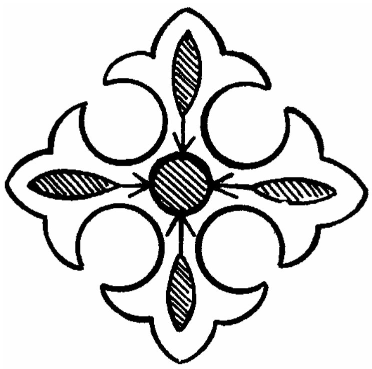
لقد أخذ الذى لنا (الماء الساذج) وأعطانا الذى له (دمه الحقيقى) لنتطهر به.

ب- وخمر العريس الأرضى فرغت، رمزاً للفرح الزائف والزائل.. فالمسيح أعطاهم خمر العريس السماوى، الذى لا يفرغ أبداً، وهو الفرح الدائم الحقيقى، الذى عبر عنه رئيس المتكأ بأنه خمر جيد.

٧- عيد دخول السيد المسيح الهيكل :

لقد قدموه إلى الهيكل لتقديم ذبيحة تطهير؟!.. تطهير لمن؟ للمسيح؟! أم لأمه العذراء ذات كل الطهر؟.. إنه تطهير لكل البشرية.. لم يكن المسيح أو أمه بحاجة إلى هذه الذبيحة للتطهير، بل نحن الذين تطهرنا ليس بدم حمام ويمام "بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح (١بط ١٩:١).

فهو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له. نسبحه ونمجده ونزيده علواً إلى الأبد.



المسيح فى الأعياد السيدية
ب- أعياد القيامة

نيافة الأنبا رافائيل

عيد التجلى :

تجلى يعنى المجد والبهاء والنور الحقيقى. فى عيد التجلى أظهر لنا المسيح شكل الجسد الذى سنكون عليـه فـى السماء.

قبل عيد التجلى كان اللاهوت مستتر فى الناسوت ومن يراه يظن أنه إنسان حقير، وفى عيد التجلى ظهرت حقيقته وظهر معه موسى وإيليا حتى يقول لنا أنه عند ما تكونون عندى فى الملكوت سيكون لكم مثل هذا المجد.

فى عيد التجلى نعرفنا على جسد القيامة وكل واحد فينا فى القيامة سيقوم بنفس جسده ولكن فـى تجلـى، جسـد ممجد روحانى يليق بالسماء لذلك عندما سألوا السيد المسيح عن السماء قال: أنـه فـى السـماء لا يزوجـون ولا يتزوجون.

عيد الشعانين :

كان السيد المسيح يرينا مملكته فعندما دخل المسيح الهيكل ورأى باعة الحمام والصيارفة طـردهم لأنـه ينهـى الذبيحة الدموية ويعلن أنه هو الذبيحة الحقيقية، طردهم لأنه انتهى عصرهم ويؤسس مملكـة جديـدة لـذلك دخـل أورشليم كملك ولكن ملك متواضع وديع راكب على جحش إبن أتان وبعد ذلك بدأ التلاميذ يفرجوه على الهيكل فقـال لهم لا يترك هاهنا حجر على حجر إلا وينقض وقال هوذا بيتكم يترك لكم خراباً فقالوا له لماذا؟ قال لأنه سأبنى بيـت جديد ثم قال اهدموا هذا الهيكل وأنا أبنية فى ثلاثة أيام وكان يقصد هيكل جسده.

فالمفهوم الجديد أنه ليست المملكة الجديدة مملكة من حجارة وبهاء وبشر ولكنها مملكة جسـد المسـيح ونحـن أعضاء فى جسده. ففى أحد الشعانين يعرفنا دستور المملكة.

خميس العهد :

أعطانا غذاء المملكة. ماذا يأكل شعبك يارب؟ فقال زمان كانوا يجلسون بجانب قدور اللحم والأكل فى مصر ولكنى أخرجتهم وأعطيتهم خبز الملائكة المنْ لكن فى المملكة الجديدة سأعطيكم منْ جديد نازل من السماء من يأكلنى يحيـا بى ففى المملكة الجديدة غذاء الناس هو جسد الرب ودمه.

الجمعة العظيمة :

ليس عيد سيدى لكنه إحتفال ضخم فصليب المسيح هو عرش الرب لأن الرب هو الملك الحقيقى الذى ملك على قلوبنا بالصليب لذلك فى المزمور يقول: "الرب ملك على خشبة".

- ففى التجلى عرفنا حاجة عن جسد القيامة.
- وفى الشعانين عرفنا طبيعة المملكة.

وفى خميس العهد عرفنا طعام الملكوت الذى نقول عنه خبزنا الذى للغد فالغد هو الأبدية. أما فى الصليب تعرفنا على عرش الملك.

يوم القيامة :

يوم الأحد فى الفجر كان بداية الملكوت "ها ملكوت الله داخلكم" لذلك المسيح قصد أن يقوم يوم الأحد لأنه بداية الأسبوع لأن السبت موت لكن الأحد بداية الدهر الآتى بداية الزمن الجديد وهو اليوم الثامن من الأسبوع وقصد أن يقوم فى الفجر حتى يفتتح الزمان الجديد فعيد القيامة هو بداية الملكوت لذلك فالخماسين كلها فى طقس الكنيسة هى عبارة عن يوم أحد طويل فعندما يأتى أربعاء أو جمعة فلا نصوم لأن كل الأيام هى يوم أحد والكنيسة عملت ذلك حتى تقول لنا أننا بعد القيامة نعيش فى الأبدية فعيد القيامة هو بداية المملكة.

أحد توما :

هو تحقيق للقيامة فإذا كنا فى القيامة نقول المسيح قام ففى أحد توما نقول بالحقيقة قام لأنه إذا كان توما شك فى قيامة المسيح فشكه حقق لنا القيامة وأكدها.

عيد الصعود :

هو افتتاح السماء حتى يأخذنا إليه فقال: "أنا ذاهب لأعد لكم مكان وإذا أعددت لكم مكان آتى أيضاً وآخذكم إلىّ".

وقال بولس الرسول: "إن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا ما هو فوق". فهو عندما صعد إلى السماء أعد لنا مكان حتى يأخذنا إليه بالقلب والعقل وبعد ذلك يأخذنا بأرواحنا ثم بأجسادنا فالمسيح دخل كسابق من أجلنا لذلك فعيد الصعود مهم جداً فى الكنيسة ففيه نتذكر السماء وصعود المسيح هناك حتى يتقدم للآب السماوى بصفته رئيس الكهنة الذى يقدم ذبيحتنا كل حين أمام الآب.

عيد العنصرة :

هنا يتحقق كلمة "ها ملكوت الله داخلكم" لأن الروح القدس حل فينا وها الكنيسة مملكة المسيح يقودها الروح القدس.

٨

الأيقونات القبطية

د. سامح حلمى

حامل الأيقونات: الأيقونستاسز :

حامل الأيقونات يقع بين الهيكل وصحن الكنيسة، وهو يتباين فى الشكل والإرتفاع ومادة البناء، وهو يعتبر أحد الملامح الرئيسية للكنائس الأرثوذكسية.

وهو عبارة عن حاجز صلد خشبى أو رخامى أو طوبى، وبه أبواب عليها ستور تفتح أثناء الخدمة الكنسية، ويزين بالنقوش والصور والرموز الكنسية.

وحيث أن حامل الأيقونات يحجب ما بداخل الهيكل فلهذا سُمى بالحجاب، وإن كانت هذه التسمية غير دقيقة لأن حجاب الهيكل قد انشق وقت صلب السيد المسيح.

أما سبب تسميته بحامل الأيقونات فلأنه يحمل أيقونات الرب يسوع والملائكة والقديسين.

رمزية حامل الأيقونات :

الأيقونستاسز بأيقونات السمائيين المتنوعة يقدم جواً سمائياً للعبادة، ويعلن عن حقيقة الكنيسة بكونها أيقونة السماء.

وهو بأيقوناته المتنوعة للسمائيين والأرضيين يعلن عن المصالحة التى تمت بين العالمين السماوى والبشرى.

وكذلك باحتوائه على أيقونات القديسين المتنيحيين يشهد أن آبائنا الذين رقدوا فى الرب ليسوا ببعيدين عنا بل هم معنا فى كل وقت.

١ – الأبواب :

يوجد غالباً فى حامل الأيقونات ثلاثة أبواب للهيكل، الأوسط هو الباب الرئيسى ويُسمى بالباب الملوكى لأن منه يدخل الملك المسيح (الحمل) إلى عرشه على المذبح.

ويكتب على أبواب الهيكل بعض الآيات مثل :

- "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك وأسجد فى هيكل قدسك بخوفك" (مز ٥:٧).

- "افتحوا لى أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب" (مز ١١٨:١٩).
- "هذا باب الرب والصديقين يدخلون فيه" (مز ١١٨:٢٠).

☦ كما يكتب أحياناً على الباب عبارة: "السلام لهيكل الله الآب".

☦ يوضع على أبواب الهيكل ستور جميلة مزينة بالصلبان أو بصور قديسى الكنيسة أو ملاك المذبح وهى باللون الأحمر الممثل للرداء الذى ألبسوه للسيد المسيح كملك لكى يسخروا منه وقت صلبه (مت ٢٧:٢٨).

ملاحظات طقسية حول أبواب الهيكل :

☦ فتح باب الهيكل أثناء خدمة القداس يرمز لفتح باب السماء، ويفتحه الكاهن من الشمال إلى اليمين كرسم الصليب، وهذا إشارة إلى المصالحة التى تمت بين الله والإنسان بصلب السيد المسيح.

☦ دخول الكاهن من باب الهيكل يشير إلى دخول الكنيسة كلها ملكوت السموات.

☦ يدخل الكاهن الهيكل ووجهه نحو المذبح، برأس منحنية ومن الجانب الأيمن، مبتدأ بقدمه اليمنى كما يدخل ملكوت السموات إذ هو إبن الله يقف عن اليمين (مت ٢٥:٣٤).

☦ يخرج الكاهن من الهيكل بظهره مثبتاً عينيه ناحية المذبح ويخرج من الجانب الأيسر.

☦ يحتفظ رئيس الشمامسة بمفاتيح هذه الأبواب.

٢- النوافذ :

☦ يوجد أحياناً على جانبى كل باب فى حامل الأيقونات نافذتان صغيرتان وأحياناً يوجدان على جانبى الباب الرئيسى فقط.

☦ ترتفع النافذتان حوالى ١،٥ متراً عن وجه الأرض.

☦ كانتا تستخدمان قديماً فى عصور الاضطهاد ليراقب شماسان من خلالهما أبواب الكنيسة الخارجية، فإذا ما رأيا هجوماً أخطراً الكاهن فيقوم بإخفاء الذبيحة المقدسة وإطفاء الأنوار وتمزيق أغطية المذبح.

☦ كان المؤمنون أحيانا يتناولون الأسرار المقدسة من خلالهما لكن غالباً ما نجد نافذتين آخرتين عن يمين الهيكل ويساره تستخدمان لهذا الغرض حيث لا يجوز الخروج بالمقدسات خارج الهيكل كما لا يجوز للعلمانيين الدخول إلى الهيكل.

٣- ترتيب الأيقونات :

يحكم ترتيب الأيقونات على الأيقونستاسز مجموعة من التقاليد الطقسية أهمها:

☦ على يمين الداخل إلى الهيكل من الباب الملوكى نجد :

أ- أيقونة الرب يسوع ممسكاً بالإنجيل وقد كتب عليه "*أنا هو الراعى الصالح*". هذه الأيقونة تعلن أن السيد المسـيح هو الباب الوحيد المؤدى للملكوت وكذلك أنه الراعى الصالح الذى فتح أبواب السماء لرعيته.

ب- تليها أيقونة القديس يوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء.

ج- تليها أيقونة قديس الكنيسة.

يلى ذلك أيقونات بعض الشهداء والقديسين وصور تمثل أحداثاً من العهدين القديم والجديد.

☦ على يسار الداخل إلى الهيكل من الباب الملوكى نجد :

أ- أيقونة السيدة العذراء الملكة التى جلست عن يمين الملك.

ب- أيقونة البشارة.

ج- أيقونة رئيس الملائكة ميخائيل.

د- أيقونة القديس مرقس وأحياناً بعض الرسل.

يلى ذلك أيقونات بعض الشهداء والقديسين وصور تمثل أحداثاً من العهدين القديم والجديد.

☦ أعلى الباب الملوكى نجد :

- أيقونة العشاء الأخير وفيها السيد المسيح يناول تلاميذه وهذا يؤكد وظيفة السيد المسيح الكهنوتية.
- وعلى يمين هذه الأيقونة ويسارها توجد أيقونات التلاميذ الأثنى عشر وهذا يذكرنا بطبيعة كنيستنا الرسولية.

☦ أعلى حامل الأيقونات نجد :

الصليب المقدس وعلى جانبيه تقف العذراء مريم ويوحنا الحبيب.

٤- السُرج – القناديل :

تتدلى السُرج (القناديل) أمام كل أيقونة لتذكرنا بنور السيد المسيح الذى يُشرق خلال قديسيه: "الفـاهمون يضـيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبـد الـدهر" (دا ١٢:٣). يستثنى من ذلك أيقونة الرب يسوع فـلا يوضع أمامها قنديل إذ هو النور ذاته.

٥- بيض النعام :

☦ من الملامح الرئيسية للكنائس القبطية واليونانية الأثرية وجود بيض النعام متدلياً بين الأيقونات علـى حامـل الأيقونات.

☦ والبيض بصفة عامة يشير إلى القيامة والرجاء والحياة الجديدة.

٦- الزخارف والرسوم الرمزية :

يوجد على حامل الأيقونات - كما يوجد أيضاً على جدران الكنيسة وأبوابها وأعمدتها - بعض الزخارف والرسوم الرمزية المميزة فى الكنيسة المسيحية مثل السمكة والدولفين والنسر والحمامة والحمل وعنقود العنب وسنابل القمح وغيرها... وسنتحدث بالتفصيل عن هذه الزخارف والرسوم فى الفصل التالى :

الصور والأيقونات فى المبنى الكنسى [1] :

الأيقونات تمثل جزءاً جوهرياً فى المبنى الكنسى فهى تغطى حامل الأيقونات وتملأ جوانب الهيكل المقدس وصحن الكنيسة وحجرة المعمودية.

١- الصور والأيقونات فى العهد القديمة :

أ- الوصية الأولى من الوصايا العشر : "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ومن تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور" (خر ٢٠:٥،٤).

تلتزم الكنيسة المسيحية بلاشك بالوصية السابقة لكنها تحفظ روح الوصية لا حرفيتها... فالغرض من الوصية هو وقف كل تسلل وثنى إلى العبادة وليس منع استخدام الصور فى ذاتها.

يقول الأب يوحنا الدمشقى: "*إن منع الصور فى العهد القديم قام جوهرياً على عجز الشعب اليهودى عن التمييز بين العبادة الخاصة بالله وحده والتكريم الذى يمكن تقديمه لغير الله... أما المسيحيون وقد إجتازوا مرحلة الطفولة صاروا قادرين على التمييز بينهما فليس هناك مانع لاستخدام الأيقونات إذ هم يستطيعون ألا يمزجوا بين التعبد للسيد المسيح وتوقير أيقونته المقدسة*".

ب- الله يأمر بعمل صور محددة فى كنيسة العهد القديم : الله الذى قدم الوصية الأولى من الوصايا العشر هو أيضاً الذى أمر شعبه أن يقيموا صوراً معينة فى خيمة الإجتماع وهيكل سليمان فنحن نجد أن:

✝ أوصى الرب موسى أن يصنع تمثالى الكاروبين بأجنحة متقلبة تظلل على غطاء التابوت فى خيمة الإجتماع... وكان الله يجتمع بالشعب هناك ويتكلم معهم (خر ٢٥:٢٢).

✝ وكذلك أوصى الرب موسى أن يصنع الشاروب مصوراً على حجاب خيمة الإجتماع (خر٢٦:٣١).

✝ كما أمر الله موسى أن يعمل تمثالاً من النحاس لحية محرقة (نارية) يضعها على عامود فى البرية لتكون مصدر لشفاء كل من ينظر إليها (عد ٢١:٩،٨).

✝ وكان فى هيكل سليمان كاروبان كبيران مغشيان بالذهب يظلل جناحيهما على التابوت وصارت وحدة الشاروب وحدة فنية متكررة منقوشة على حوائط الهيكل وعلى مصراعى الباب (١مل ٦:٢٧-٣٢)، (٢أخ ٣:٧).

كل هذه الشهادات توضح أن الله فى الوصية الأولى من الوصايا العشر لم يحرم الصور بطريقة مطلقة إنما أراد بالمنع تحريم عبادة الأصنام.

---

[1] بتصرف من كتاب الكنيسة بيت الله - القمص تادرس يعقوب ص ٢٥٥-٣.

٢- الأيقونات فى حقيقتها السرية :

أ- الأيقونات والتجسد الإلهى : قامت وصية تحريم الصور على أساس عدم إمكانية تصوير اللاهـوت فـإن الله غير محدود ولا منظور، أما فى العهد الجديد فإن المسيحية قامت على إعلان الله عن نفسه من خلال إبنه المتجسـد: "الله لم يره أحد قط الإبن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر" (يو ١٨:١).

لقد أعلن السيد المسيح بتجسده صورة الله أو أيقونته ولهذا قال: "من رآنى فقد رأى الآب" (يو ٩:١٤).

ب- الأيقونات والتعليم الكنسى : ترتبط الأيقونات بالوعظ والكتابة فإذا كانت الكتابة والعظات هـى أيقونـات كلامية فإن الأيقونات بدورها هى عظات مرسومة ومرئية... هى عظات مسجلة بلغة بسيطة جامعة يقرأه الكـل دون تمييز بين لسان ولسان يفهمها الأمى وكذلك المتعلم.

وما نقوله على الكتابة والعظات نقوله على الكتاب المقدس، فالكتاب المقدس فى الحقيقة هو أيقونة إلهية صورها الروح القدس ليعلن لنا بلغتنا البشرية حب الله نحونا وتدبيره لخلاصنا، أما الأيقونات فهى كتـاب مقـدس مفتـوح للجميع ومسجل بلغة الألوان البسيطة.

ج- الأيقونات والحياة الروحية : نستطيع أن نقول أنه إذا كانت الصور الخليعة تفسد أنظار الكثيـرين وتـدنس أفكارهم، فإنه على العكس الأيقونات المقدسة هى أداة تستخدمها النعمة الإلهية لتسند الفكر. فى انشغاله بالله وتلهب القلب بالحب لحياة الفضيلة.

٣- تكريم الأيقونات :

أ- تكريس الأيقونة : فى الطقس القبطى لا يقوم التكريم الخاص بالأيقونات المقدسة من تقبيـل وتبخيـر إلا إذا كانت أيقونات كنسية مكرسة بواسطة الأسقف وممسوحة بالميرون.

ب- بين العبادة والتكريم : يتساءل البعض كيف نسجد للأيقونات المصنوعة بالأيدى؟ كيف نقدم التكريم للأشياء المادية؟

والجواب هو ينبغى أن نفرق جيداً بين العبادة الخاصة التى لا تقدم إلا لله وحده وبين التكريم الذى يحمـل معنـى التوقير الذى يقدم لله وللقديسين أيضاً.

ولقد وردت فى الكتاب المقدس أمثلة للسجود لغير الله وذلك بمعنى التوقير والاحترام مثل :

- السجود للملائكة مثل سجود يشوع لرئيس جند الرب عند أريحا (يش ١٤:٥).
- السجود لأماكن وأشياء مقدسة مثل قول داود: "أسجد أمام هيكل قدسك" (مز ٧:٥).
- السجود لأناس أصحاب كرامة وسلطان مثل سجود يعقوب لأخيه عيسو (تك ٣:٣٣).
- وكذلك سجود أولاد يعقوب لأخيهم يوسف (تك ٦:٤٢).

وفى هذا يقول الأب يوحنا الدمشقى: ممارسة خدمة العبادة شىء والتوقير والاحترام شىء آخر. الله وحده المستحق أن يتعبد له كل من فى السماء من فوق ومن على الأرض. ومن تحت الأرض. نحن نسجد لله ونتعبد له ونوقر قديسيه ونكرمهم إكراماً للروح القدس الذى يملأهم. لسنا نعبد الأيقونة المادية بل الله المرموز له فى الأيقونة. أعلموا يا أحبائى أننا حينما نسجد للصليب إنما نسجد للمصلوب لا للخشب وإلا كنا ملزمين أن نسجد لكل شجرة فى الطريق... الصليب والأيقونات ليست آلهة نعبدها. لكنها تدعونا لعبادة الله الحى وحده.

٤- أيقونات السيد المسيح :

إن التقليد الكنسى يعود بالأيقونات الأولى للرب يسوع إلى فترة تجسده على الأرض وإلى الفترة التى تليها مباشرة، إذ عرفت تلك الفترة بإزدهار فن تصوير الأشخاص.

والتقليد يعرفنا أن القديسة فيرونيكا التى قدمت منديلها للسيد المسيح لتمسح به وجهه وهو فى الطريق إلى الجلجثة فكافأها الرب بانطباع صورته على المنديل بطريق معجزى.

وأيضاً التقليد يعرفنا أن القديس لوقا الإنجيلى كان رساماً وقام برسم القديسة مريم والطفل يسوع... وتوجد صورتان الآن بديرى السريان والمحرق يقال إنهما مأخوذتان عن الأصل الذى رسمه القديس لوقا الإنجيلى.

ويذكر يوسابيوس القيصرى فى كتابه: "رأيت صوراً كثيرة جداً للمخاص ولبطرس ولبولس حفظت إلى يومنا هذا" وهذه العبارة سبقها وصف تفصيلى لتمثال المخاص الذى رآه فى قيصرية فيلبس بفلسطين، والذى أقامته المرأة نازفة الدم التى شفاها المسيح[٢].

٥- أيقونات القديسين :

ما أن هدأت موجات الإضطهاد الرومانى وصارت المسيحية هى الديانة الرسمية وإذا بأيقونات الشهداء والقديسين تنتشر، لتؤكد أن القديسين المنتقلين لا يزالون أحياء يعملون لحساب الكنيسة.

هذا ما أعلنه الكتاب المقدس فقد أقامت عظام إليشع ميتاً تأكيداً على عمل الله فى قديسيه حتى بعد رحيلهم (٢مل ١٣:٢١).

ويخبرنا الكتاب المقدس عن ظل بطرس الرسول الذى كان يشفى المرضى (أع ٥:١٢-١٦)، وعصائب ومناديل بولس الرسول التى كانت تخرج الأرواح الشريرة (أع ١٩:١٢).

يقول الأب يوحنا الدمشقى :

- أمتلأ القديسون بالروح القدس أثناء حياتهم، وبعد رحيلهم تسكن نعمته فى أرواحهم كما فى أجسادهم فى القبر، وتعمل فى أشكالهم وأيقوناتهم لا سكنى الجوهر بل كنعمة وقوة إلهية.

---

[٢] تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصرى ك٧ - ف:١٨.

- إن كنت تقيم صورة للسيد المسيح ولا تقيم صوراً لقديسيه فإنك تتبرأ لا من إقامة صور لهم بل مـن تكـريمهم كانوا ليسوا أهلاً لهذه الكرامة، مع أن الرب يقول: أنا حى أمجد الذين يمجدوننى.

- إن نصور السيد المسيح ملكنا وربنا لسنا نجرده من جيشه فإن القديسين يمثلون جيش الرب.

- أما أنا فأسجد لأيقونة السيد المسيح لكونه الله المتجسد.

- وأسجد لأيقونة سيدتنا ووالدتنا كلنا لكونها أم إبن الله.

- وأسجد لأيقونات القديسين كأصدقاء لله.

٦- أيقونات السمائيين :

نظرة خاصة لأيقونات الكنيسة نجد أن :

- غالبة أيقونات السيد المسيح على عرشه يصور فيها الملائكة والسمائيون.

- غالبية الأيقونات الخاصة بحياة السيد المسيح نجد الملائكة فيها مثل أيقونة البشارة والميلاد والتجربـة علـى الجبل والقيامة والصعود والمجىء الثانى.

- هناك أيقونات خاصة بالقديسين ويصور الملائكة فيها وهم يضعون الأكاليل على رؤوسهم.

- هناك أيقونات خاصة بالملائكة ميخائيل وغبريال وروفائيل وكذلك أيقونات للأربعة الحيوانات غير المتجسدين.

٧- هالة المجد :

ميزت الكنيسة أيقونات قديسيها والملائكة بهالة من النور حول الرأس إشارة إلى عملهم كنور العالم... أما أيقونة السيد المسيح فغالباً ما يرسم داخل الهالة صليب، وتكتب فيه الحروف الأولى لاسمه أو الحرفان الأول والآخـر مـن اليونانية إشارة للاهوته.

وهناك ملاحظتان هامتان على استخدام الهالة فى الأيقونات القبطية :

أ- تستخدم الهالة الدائرية فقط وليست التى على شكل مثلث أو مربع والهالة الدائرية تشير إلى الأبدية.

ب- لا توضع هالة حول صور الأشخاص الذين مازالوا على قيد الحياة.

